ضد الإسلام



مختار محمود

أوراق
للنشر والتوزيع

ضد الإسلام

مختار محمود



ضد الإسلام

المؤلف
مختار محمود

الإخراج الفنى والغلاف :
أيمن رياض

رقم الإيداع بدار الكتب :
٢٢٢٧١ / ٢٠١٠

الطبعة الأولى :
ديسمبر ٢٠١٠

الناشر :
أوراق للنشر والتوزيع



٦ شارع زهرة رمزى
الملك فيصل _ الجيزة
تليفون : ٠٢٣٥٨٩٤٥٧٠
٠١٢١١١٠٤٣٥
البريد الأليكترونى :
awraaq@live.com

مقدمة

ليس كل ما يلمع ذهبًا، وليس كل رأي مختلف وغريب جديراً بالاهتمام والاحترام والتصديق والاقتناع، وليس كل متمرد على الثابت أو السائد يكون بالضرورة صائبا، ويستحق التصفيق والتكريم ورفعه فوق الأعناق، ولا يُعدُّ الإبحار ضد التيار غالبا أمرا محموداً، فقد يكون جنونًا يستوجب إبعاد صاحبه عن عقلاء البشر وأسويائهم .

وفى الوقت ذاته ..لا ينبغى أن يحظى كل رأى قديم بالقدسية ، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها، ولا يجب ملاحقة من يخالفه أو يساوره الشك فيه بدعاوى الردة والحسبة والخروج من الملة.

لم يكن الإسلام يومًا ، ولن يكون دين الرأى الواحد ، والاتجاه الواحد ، والفكر الواحد ، كما لم يعرف الإسلام "رجل الدين" ، بمفهومه المُشين فى الأديان الأخرى ، وليس فى الإسلام كهنوتٌ ولا قرابينُ تُقدّم للإله ، ولكن الإسلام النقىّ ، الذى لم تخالطه شوائب المنتفعين منه والمتاجرين به ، دين يدعو إلى إعمال العقل والفكر والتدبر ، وليس إلى " ركنهم فى سلة المهملات "، والاكتفاء بما يُمليه علينا سدنته ، وتقديسه تقديسًا لا يقبل شكًا.

لذا.. فإن " ضد الإسلام " ليس كتابا يهدف إلى تكفير أحد ، أو تسفيهه أو النيل منه ، أو الحكم بإقصائه من ساحة الإسلام الواسعة ، التى تسع كل ذى عقل وفكر ، وتضيق حتما بصغار العقول وضعاف القلوب وأصحاب المصالح الضيقة.

كما أنه لا يسير فى مواكب المتنطعين المتشددين ، الذين ينالون من الإسلام أكثر من خصومه المعلنين ، ولا يتحدث باسمهم ، ولا يحمل لواءهم ، ولا يردد كلامهم ، كما لا يجارى السفهاء فى سفاهتهم ، والذين يكرهون الإسلام بالسليقة ،

ويتربحون من الإساءة إليه ، وينالون الأوسمة والتكريمات من أجل الطعن فيه.

لا يتبنى " ضد الإسلام" خطابا فظًا غليظًا ، كالذى يتحدث به من يظنون أن الإسلام نزل إليهم خصيصًا من السماء ، كما لا يحمل خطابًا استعلائيًا بغيضًا ، كالذى يتوارى خلفه أولئك الذين غرّتهم الأمانىُّ ، وضللتهم عقولهم، ،وظنوا بالله الظنون، وإنما هو "محاولة أولى" لتقريب وجهتى نظر بين جناحين متباعدين إلى أقصى درجة ، وكل منهما يظن أنه على الحق المبين.

فيا هؤلاء ، ويا هؤلاء .. تعالوا - إن كنتم صادقين وجادين - إلى كلمة سواء ، ألا نعبدَ إلا الله ، وأن نكفرَ بالشيطان ، و ندعَ أهواءنا جانبًا ، وأن نعملَ على رفعة الإسلام ، ورفع رايته ، ولن يحدث هذا إلا إذا خلصت النوايا والأفئدة من أدران كثيرة ، سكنتها وعششت فيها.

يا من تقدسون القديم البالى وتناضلون فى سبيله ، ويا أصحاب الذوات المتورمة وزاعمى التنوير.. الإسلامَ .. الإسلامَ ، وكفاكم تشاحنًا وتلاسنًا ، فقد أسأتم معا إلى دين الخير والحب و السلام ، ومنحتم الأعداءَ الذخيرةَ المتدفقة للنيل منه والاستهزاء به ، فاقترفتم خطايا لا تُغتفر ، ولم تكسبوا إلا متاعا زائلاً.

وأذكّر الفريقين بقول الله تعالى :" وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون ، إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين " .. سورة الأنعام.

مختار محمود

الفصل الأول

نصر أبوزيد :
القرآن ليس مقدسًا

لم تكن البدايات الأولى للدكتور نصر حامد أبوزيد (١٩٤٣ - ٢٠١٠).. تشى بأى شىء مبشر أو لافت للنظر، فالشاب الريفى المولود بإحدى قرى مدينة طنطا - محافظة الغربية وسط دلتا مصر، لم يكتفِ بالحصول على دبلوم المدارس الصناعية ، لأن أسرته لم تكن قادرة على الإنفاق على دراسته الجامعية، ولم يستسلم لفقره بل أصرّ على استكمال دراسته، والتحق بجامعة القاهرة بعد حصوله على الثانوية العامة.

فى العام ١٩٧٢ حصل أبو زيد على درجة " الليسانس" فى الآداب بتقدير ممتاز ، وعُيّن معيداً بالكلية ، ونال درجتى الماجستير والدكتوراه ، وعندما قدم أبحاثه للحصول على درجة الأستاذية .. تكونت لجنة من أساتذة الجامعة ، انتهت إلى اتهام أبى زيد بالكفر ، واضطر الأخير إلى ترك مصر بعد الضجة التى أثيرت حوله ، وانتهت بصدور حكم قضائى بالتفريق بينه وبين زوجته.

على الرغم من فداحة أطروحات نصر أبو زيد بشأن القرآن الكريم إلا أنها - بحسب الكثيرين - لا تشكّل فى جوهرها طرحًا جديدًا، فهى مجرد صورة من صور استخدام نظرية التفسير الماركسى فى التعامل مع القرآن الكريم بما يخضع النص - بحسب لفظه _ للأيدولوجية ، وهى هنا الماركسية العلمية التى يؤمن بها إذ يقول: "إن الدعوة للتحرر من سلطة النصوص ومن مرجعيتها الشاملة ليس إلا دعوة لإطلاق العقل الإنسانى حراً يتجادل مع الطبيعة ويتجادل مع الواقع الاجتماعى والإنسانى فى مجال العلوم الإنسانية والفنون والآداب ."

يتمثل مشروع أبو زيد فى وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحى والنبوة والغيب والعقيدة فى المعنى القرآنى فيصير القرآن ماركسياً ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية والهرمنيوطيقا فيغير بذلك المفاهيم الرئيسية للقرآن ويلغى المعانى الحقيقية للسور والآيات ويطمس الحقائق الدينية التى رسخها القرآن وبينتها السنة النبوية، يقول أبو زيد: "النص لا يثبت شيئاً بل هو فى حاجة إلى إثبات"!

القرآن نص تاريخى

قال أبوزيد : إن فكرة كون القرآن نصا تاريخيا ليست جديدة ولا اختراعًا غربيا، بل هى جزء من الإسلام التقليدى. ففى القرن التاسع الميلادى اعتبر المعتزلة، أصحاب التوجه العقلى فى الإسلام، القرآن "مخلوقًا "، وهو ما يعنى - ببساطة و بمعاييرنا المعاصرة - أنهم نظروا للقرآن باعتباره نصّا تاريخيا ،و كانت هذه النظرة مثيرة للجدل وقتها مثلما هى الآن، وفى النهاية تمكن الفقهاء المتشددون من استبدال هذه النظرة بمفهوم معاكس، وهو أن القرآن هو كلام الله غير المخلوق.

من وجهة نظر أبوزيد فإن المهمة الملقاة على عاتق الإصلاحيين الحداثيين هى بعث فكرة المعتزلة القائلة بخلق القرآن.

قال أبوزيد : من الواقع تكوّن النص (القرآن)، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، فالواقع هو الذى أنتج النص .. الواقع أولاً والواقع ثانياً والواقع أخيراً .. ولقد تشكل القرآن من خلال ثقافة شفاهية، وهذه الثقافة هى الفاعل والنص منفعل ومفعول .. فالنص القرآنى فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة فترة تزيد على العشرين عاماً .. فهو

"ديالكتيك "صاعد وليس "ديالكتيك " هابطاً ... والإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يطمس هذه الحقيقة.. والفكر الرجعى فى تيار الثقافة العربية هو الذى يحول النص من نص لغوى إلى شىء له قداسته ."

والنص القرآنى- كما يرى أبوزيد- منظومة من مجموعة من النصوص، وهو يتشابه فى تركيبته تلك مع النص الشعرى، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلاً، والفارق بين القرآن وبين المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل فى المدى الزمنى الذى استغرقه تكوُّن النص القرآنى، فهناك عناصر تشابه بين النص القرآنى ونصوص الثقافة عامة، وبينه وبين النص الشعرى بصفة خاصة، وسياق مخاطبة النساء فى القرآن المغاير لسياق مخاطبة الرجال هو انحياز منه لنصوص الصعاليك.

أما النبوة والرسالة والوحى .. فإنها عند هذا الحداثى الماركسى- حسب وصف الدكتور سيد العفانى- ظواهر إنسانية وثمرة لقوة المخيلة الإنسانية، وليس فيها إعجاز ولا مفارقة للواقع وقوانينه، فالأنبياء مثل الشعراء والمتصوفة مع فارق درجة المخيلة فقط لا غير.

وينسب إلى أبوزيد قوله: "إن إيماننا بإله له عرش وله قدسية وجند فى السماء وله كتاب محفوظ ورسل يُدخلنا فى باب الخرافة والأسطورة، ولابد أن ندوس على قدسية الكتاب الكريم حتى نتقدم، فإن الذى ألف هذا الكتاب جاهل وهو منتج ثقافى ..

تنقية القرآن من الخرافة

فى التباكى على نصر أبو زيد ،بعد رحيله ، كتب فريد العليبى ، على موقع " أوان " : بوفاة أبى زيد تخسر الثقافة العربية المعاصرة علما بارزا من أعلامها، وبحساب السنين فإن عشر سنوات على الأقل من عمره الفكرى قد راحت هدرا، كان يمكن أن يثرى خلالها الثقافة العربية ويعمّق ما ساقه من أفكار فى خضم الجدل الراهن حول الظاهرة الدينية الإسلامية."ا

وأضاف : " اعتبر أبو زيد لغة القرآن لغة بشرية، إنها لغة قريش، لغة يفهمها النبىُّ والناس الذين يعيش معهم، والموكول إليه مخاطبتهم، وبالتالى يجب فهم القرآن فى علاقته بتلك اللغة تحديدا، كما دعا إلى تأويل النص فى علاقته بسياقه التاريخى ومقاصده وأسباب نزوله، فالوحى رسالة موجّهة إلى البشر

نزلت على مراحل واستدعت ردود أفعال من قبل الناس فكان الناسخ والمنسوخ، ومحمّد ليس مجرد ساعى بريد ، فالله يجادله وأحيانا يزجره، والقرآن مشبّع بالسجال فهو يردّ على المنكرين عارضا حججهم، مبيّنا تهافتها، وفى المقابل يثنى على المؤمنين به باعتباره رسالة ربانية، مبشرا إياهم بالخير العميم والفردوس المستديم ، وهو- برأيه - ليس كله نصّا مفهوما واضح المعالم، لا ينقصه غير التطبيق، وإنما هو موضوع للتفكّر والتدبر، وبالتالى التأويل، ومن ثمّة علينا إعادة قراءته على ضوء المناهج والعلوم الحديثة، وهو ما يعجز عنه رجال الدين لغربتهم عن علوم العصر ".

داعية تنويراا

الكاتب والمنظّر يوسف بن عدى ، رثى " أبو زيد " بمقال معنون بـ "داعية التنوير" .جاء فيه :

إنّ رهانات أبو زيد من خلال مشروعه الفكرى العقلانى هى بلورة "نظرية التأويل" فى الثقافة العربية والإسلامية، ولعلّ بناء هذه النظرية إنما يتطلّب سبر آليات التأويل ذاته لدى الفقهاء والأصوليين والمتكلمين والمتفلسفة.. ذلك لبيان محدودية فكرهم التأويلى والنظرى على ضوء مستجدات الحداثة الغربية وتحولاتها المعرفية والفلسفية واللغوية. لذا تعقب الكاتب إشكالية التأويل أيضا فى سياق الإسلام السياسى المعاصر ومدى استغراقه من مرجعيات التراث التقليدى، وتحويلها إلى أدوات الصراع السياسى والفكرى الحالى. إذن، ما هى مكوّنات الرؤية المنهجية فى فكر "نصر حامد أبو زيد"؟.

إن منهجية أبو زيد، كما كتب عدى ، ارتكزت على تمييزها بين مستويات ثلاثة من السياق، الأوّل "هو مستوى السياق التاريخى" .. الثانى هو سياق القارئ أو الباحث المعاصر أو الباحث المعاصر الذى هو ناتج تفاعل المعنى التاريخى مع السياق فى بعده الراهن. وهذا يحيل إلى المستوى الثالث وهو مستوى " المغزى" الناتج عن تفاعل السياقين السابقين.

وعلى هذا فإنّ دراسة التراث دراسة نقدية تركيبية عند الكاتب إنما ترتبط بمقولة التأويل ذاتها، أعنى أنّ إشكاليات القراءة لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات فى سياقها التاريخى الثقافى والفكرى، بل "يتعدى ذلك إلى محاولة الوصول إلى "المغزى" المعاصر للنص التراثى، فى أى مجال معرفى"، حتى يتم

تحقيق الوعى العلمى بالتراث، بعيدا عن القراءات الأيديولوجية المغرضة. فشرط حصول العلمية بالفكر العربى هو استحضار النقد والتأويل والصيرورة التاريخية... إلخ من مقولات التعقل التاريخى الحديث.

وهكذا فالتأويلية المقصودة لدى "نصر حامد أبو زيد" هى المتقاطعة مع أفق الفكر الفلسفى الحديث والمعاصر، أى مع "التاريخ والانثروبولوجيا وعلم الجمال وعلم الاجتماع والنقد الأدبى"، بل أكثر من ذلك فمفهوم التأويل لدى الكاتب، قد عرف اتساعا فى الدلالة والمعنى بحيث يتعلق أيما تعلّق بالاحتمالىّ "بشكل واسع فى تأويله للقرآن والأحاديث النبوية على السواء" وهذا ما عرف به ابن عربى فى فلسفة التأويل أو دراسته لتأويل القرآن.

علمانى متشدد يرد

رغم أن الدكتور على حرب يتقاطع مع نصر أبو زيد أيديولوجيًا ويوصف بأنه " علمانى متشدد" ، إلا إن له رأيًا مغايرًا فى أطروحات أبى زيد

يقول حرب :

" يستهدف أبو زيد ، بالنقد والتحليل ، خطاب الوحى ، بجعله مادة لمعرفة نقدية عقلانية ، شأنه بذلك شأن أى خطاب بشرى وأى إنتاج معرفى .. مستلهمًا موقف طه حسين الذى اعتبره أبو زيد الفدائى الأول فى مقاومته للنظرة التقديسية إلى النصوص الدينية ".

ويعلق على كتابه " مفهوم النص "بالقول :

" كان أولى به أن يسمى هذا الكتاب " نقد النص "إذ هو يتناول فيه القرآن وعلومه تناولاً تحليليًا نقديًا .. أجل إنها لجرأة بالغة أن يتعامل باحثنا مع النص القرآنى بوصفه " منتجًا ثقافيًا "، أنتجه واقع بشرى تاريخى "!! .

مضيفا : مشروع نصر أبو زيد هو وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحى والنبوة والغيب والعقيدة فى المعنى القرآنى.. فيصير القرآن ماركسيًا ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية والهرمنيوطيقا (نظرية تفسير مادية) فيغير بذلك المفاهيم الرئيسية للقرآن.. ويلغى المعانى الحقيقية للسور والآيات.. ويطمس الحقائق الدينية التى رسخها القرآن وبينتها السنة.

الذى وظف التراث فى الصراع الأيديولوجى

إذن فأبو زيد يتهم الوحى بأنه ليس له مصدر سماوى مقدس ، وينفى عنه صفه الفوقية - إن صح التعبير - لأنه عنده خرج من الواقع ورجع إلى الواقع وليس هناك إلا الواقع ! وهو ينص على ذلك فى قوله : " فالواقع أولاً والواقع ثانيًا ، والواقع أخيرًا "!! الواقع فقط !!

وهو يظن أنه بهذه الاتهامات يستطيع أن ينزع صفة الوحى الإلهى عن القرآن ، ويظن أنه قد حطم بذلك الأسطورة الدينية وكشف عن حقيقة رموزها - والرموز بزعم الماركسية هى الله - تعالى عن قوله - الملائكة ، الجن ، الوحى ، الغيب ، اليوم الآخر ، وما إلى ذلك .

إذن فغاية الهرمنيوطيقا - التى هى نظرية فى التفسير غربية المبنى والمعنى - تحطيم الأسطورة الدينية ، والرمز لا يعنى شيئًا قط .. وإنما هو وسيط شفاف - أو حقيقة زائفة - ينم عما وراءه من موروثات لغوية بيئية معرفية تاريخية أسطورية !

ينقل " نصر أبو زيد "هذه النظرية ، ليقوم بنفس الغاية التى توصل إليها هؤلاء الملاحدة مع الكتب اليهودية والمسيحية.. وبدلاً من أن يكتفوا بإظهار أساطير القوم ، الأساطير التى أظهرها الإسلام من قبلهم !.

وهو هنا يعطى للنظرية المادية التى تنكر الله سبحانه وتعالى وترفض الوحى صفة " العلمية و" الهيمنة "على القرآن !

ويريد أن ينقل الثقافة الإسلامية والحقائق الإسلامية إلى حالة أخرى مغايرة لها تمامًا ، حالة الوعى الماركسى والفرويدى اللعين ، والذى أدى فى عالم الغرب إلى فصل الإنسان عن ربه وخالقه ومبدعه فى نفس الوقت الذى أنزله إلى مرتبة الحيوان " دارون " وحلل نفسيته بأنها حيوان أشد ولوغًا فى الجنس من الحيوان

لم تقتصر أكاذيب وافتراءات نصر أبو زيد عند هذا الحد، وإن كان ذلك أشنعها، لكنها شملت أيضا الطعن فى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم حيث اتهمهم بتأليه النبى محمد صلى الله عليه وسلم كما اتهمهم بأنهم ليسوا أطهارا ولا أخيارا، كما طعن فى أئمة المسلمين واتهمهم بالكذب مثل : الإمام أبى حنيفة.

مؤلفاته

من أبرز مؤلفات نصر أبو زيد:

- الإمام الشافعى وتاسيس الأيديولوجية الوسطية
- نقد الخطاب الدينى
- مفهوم النص .. دراسة فى علوم القرآن"
- التفكير فى زمن التكفير، ضد الجهل والزيف والخرافة"
- النص، السلطة، والحقيقة: الفكر الدينى بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة"
- الاتجاه العقلى فى التفسير: دراسة فى قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة"
- فلسفة التأويل: دراسة فى تأويل القرآن عند محيى الدين بن عربى"
- دوائر الخوف: قراءة فى خطاب المرأة"
- هكذا تكلم ابن عربى "
- إشكاليات القراءة وآليات التأويل"
- الخطاب والتأويل"

أصل القضية

كانت الأوساط العلمية والفكرية بمصر انشغلت أوائل التسعينيات بقضية نصر حامد أبو زيد، عندما قدَّم بحثا عنوانه "نقد الخطاب الدينى" للحصول على لقب (أستاذ) لكن د. عبد الصبور شاهين - الذى غيّبه الموت الأحد ٢٦ سبتمبر ٢٠١٠ -تقدَّم بكتاب باعتباره رئيس لجنة الترقيات "فجّر القضية" إذ تحولت المسألة من مجرد رفض للترقية إلى اتهام بالردَّة، وتلخصت اتهاماتُ التقرير فيما يلى:

- العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة والدعوة لرفضهما.
- الهجوم على الصحابة.
- إنكار المصدر الإلهى للقرآن الكريم.
- الدفاع عن الماركسية والعلمانية وعن سلمان رشدى وروايته (آيات شيطانية).

وقال شاهين يومئذ : إن أبحاث أبو زيد جدلية تضرب فى جدلية لتخرج بجدلية تلد جدلية تحمل فى أحشائها جنينا جدليا متجادلا بذاته مع ذاته.

وعلى إثر هذا التقرير نشأت معركة فكرية واسعة بين أنصار أبو زيد وبين المؤيدين لتقرير شاهين، وتطوَّر الأمر إلى رفع مجموعة من المحامين دعوى حسبة تطالب بالتفريق بين نصر وزوجته ابتهال يونس، ودارت مساجلات قانونية

وفقهية طويلة انتهت بهجرة نصر حامد وزوجته من مصر والعمل بالتدريس بإحدى الجامعات الهولندية حتى توفاه الله منتصف العام ٢٠١٠.

وفى يوم السبت ٢٥ من سبتمبر ٢٠١٠ ، أقيم حفل لتأبين الدكتور نصر أبوزيد بالمسرح الصغير بدار الأوبرا المصرية ، دعا إليه مجموعة من أصدقائه وتلاميذه وزوجته الدكتورة ابتهال يونس .

ووصف بيان صادر عن لجنة الاحتفال أبو زيد بـ "الرمز المدافع عن العلم والمعرفة ضد الزيف والجهل والقمع وهو من دافع عن الفقراء والمهمشين والبسطاء ضد الفحش والتسلط والخبث ، الرافض للخضوع لمنطق كم الأفواه والتهديد ، والمُصرُّ على حرية الكتابة والحق فى الاختلاف " ، بينما قال اللبنانى على حرب : إن أبو زيد لم يعمل يوما فى خدمة العقيدة الإسلامية !

فهل كان أبو زيد حقا هكذا؟!

الفصل الثانى

سيد القمنى ..
دجال أم مفكر؟

يُصنّف سيد القمنى ، المولود فى مدينة الواسطى بمحافظة بنى سويف "شمال صعيد مصر" فى العام ١٩٤٧ ، بأنه من أكثر الكتاب المصريين إثارة للغضب ، بسبب كتاباته ضد الإسلام .
القمنى – الذى أظهر فى كتابه "النبى إبراهيم" تحليلات علمانية لقصص الأنبياء الأولين– دعا إلى بناء كعبة بديلة فى سيناء، و قال فى كتابه (الحزب الهاشمى) : "إن دين محمد مشروع طائفى، اخترعه عبد المطلب الذى أسّس الجناح الدينى للحزب الهاشمى على وفق النموذج اليهودى "الإسرائيلى"، لتسود به بنو هاشم غيرها من القبائل ..

وهو من قال عن مريم عليها السلام: "كانت مريم منذورة للبغاء المقدس والعهر مع الآلهة، فبين الآلهة والجنس علاقة وطيدة ... لا يمكن أن تنجب بدون رجل يأتيها . كما تعتقد بعض المجتمعات المتخلفة شبه البدائية . وكما تعتقد بعض الديانات الكبرى القائمة إلى الآن ..

وفى كتابه (أهل الدين والديمقراطية) يتهم القمنى الإسلام بالظلم؛ لعدم المساواة بين الرجل والمرأة فى الميراث.

وفى كتابه (عفاريت التراث) يتهجم على الصحابيين الجليلين عثمان بن عفان وعمرو بن العاص رضى الله عنهما، ويقول: "إن فتوحاتهما لم تكن إلا من أجل المال".

والقمنى هو من ادّعى أنه حصل على الدكتوراه تحت إشراف الدكتور فؤاد زكريا قبل أن يُكذّبه الأخير ويتبين للجميع أنه لا وجود للجامعة الأمريكية التى منحته الدكتوراه الوهمية ، فيما أكد لى أصدقاؤه ومقربون منه أنه لم يحصل سوى على الثانوية العامة فقط.

مشروع مادى

وللأهمية القصوى نبدأ بإثبات تعريف القمنى لنفسه بقوله: "أنا مادى " ومن المهم كذلك إثبات حقيقة أن الفارق الجوهرى "الفلسفى"بين الموقف "المثالى"والموقف "المادى"فى "ألف - باء " ماركسية، يتلخص فى أن:

- الأول يقول بـ "أولية الله على المادة فى الوجود "، وبالتالى فهو يؤمن بوجود إله خالق للكون وللطبيعة وللإنسان، وبأن العلاقة بين الله "الخالق"والإنسان "المخلوق"يمكن أن تكون فى شكل رسالة وحى ورسول نبى - بشرى- وأما الثانى فيقول بـ "أولية المادة على الله فى الوجود "؛ وبالتالى فهو حسب "المادية الديالكتيكية"لا يؤمن بوجود موضوعى حقيقى لله ،ومن ثَم لا يذهب إلى إمكانية وجود علاقة "سواء فى شكل دين أو وحى"بين إله "غير موجود عنده أصلا"وبين إنسان هو الخالق الفعلى لله.. وحسب "المادية التاريخية"فالمادى لا بد أن يبحث فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للإنسان عن وجود وتطور فكرة الله والدين.

وهذا ما حاول القمنى الالتزام به فى مشروعه الفكرى الذى رفض فيه ما أسماه بـ "الرؤى الأصولية» التى تقول بأن الإسلام "مفارق سماوى"لتناقض هذا القول "الأصولى» أو "المثالى» مع "مادية"القمنى التى تقول بأنه لا شىء إطلاقا يبدأ من فضاء من دون قواعد مؤسسات ماضوية يقوم عليها ويتجادل معها، بل ويفرز منها حتى لو كان دينا.. والذى حاول فيه - ومن خلال دراسته للأديان عموما وللإسلام خصوصا - إثبات أن "فكرة التوحيد"هى الأخرى لا تأتى من فراغ، ولا تقفز فجأة دون بنية تحتية تسمح بها ؛ لأن هذا القفز الفجائى يخالف

منطق التطور وشروطه المجتمعية والاقتصادية والسياسية حسبما تعلم "في فلسفة التاريخ وقوانين الحراك الاجتماعي».

الموروث الثقافي

في خطوته الأولى نحو هدفه.. أعلن القمني رفضه فكرة أن" الموروث الثقافي العربي يبدأ من بدء الرسالة الإسلامية" مؤكدًا أنه "مجموعة من التراكمات الثقافية و الحضارية لشعوب كانت في منطقة الشرق الأوسط قبل وبعد ظهور الإسلام، وأنه من المستحيل لثقافة أو حضارة أن تتكون من نقطة ابتداء محددة معلومة وأن تفكير البعض في أن الثقافة العربية بدأت مع بدء الوحي أمر غير منطقي يجعل الإنسان يؤمن بأنه لم يكن هناك أي دور للحضارات والشعوب والديانات والعوامل السياسية التي سبقت الإسلام في الصياغة والإعداد لظهور الإسلام".

ويرى القمني أن هناك بُعدين للقرآن.. البعد الأول.. حقائق ، تتعامل مع أحداث تاريخية حدثت في التاريخ الإسلامي مثل: غزوة بدر و معركة أحد وصراع اليهود مع المسلمين في يثرب وغيرها من الأحداث، وهناك بالإضافة إلى هذا الجانب التاريخي "جانب روحي وميثولوجي أسطوري، لم يحدث بصورة عملية فيزيائية وإنما يمكن اعتباره رموزًا وليس حقائق تاريخية ".

ويورد القمني كمثال على هذا البعد نزول الملائكة للقتال إلى جانب المسلمين في معركة بدر ضد قريش، وحادثة الإسراء و المعراج التي لابد أن تكون رموزًا- حسب اقتناع القمني- وعليه ، فإن المسلم يجب أن يُميِّز بين ماهو حقيقة تاريخية وبين ما هو مجرد رمز لكونها تتحدى قوانين المنطق والفيزياء.

ويوضح القمني فكرته بأن الاعتقاد بأن الملائكة نزلت بالفعل في غزوة بدر فيه إساءة غير مباشرة إلى الإسلام لكونه مناقضًا لأفكار ولحقائق أخرى.

ويرى أن القرآن يُجسّد نصًا تاريخيًا ، ولاضير من وضعه موضع مساءلة إصلاحية نقدية ، وأن هذا النقد الإصلاحي لايمثل ردّة أو استخفافًا بالقرآن - حسب رأيه - بل يعتبره "اقتحامًا جريئًا وفذا لإنارة منطقة حرص من سبقوه على أن تظل معتمة وبداية لثورة ثقافية تستلهم وتطور التراث العقلاني في الثقافة العربية الإسلامية ليلائم الإسلام احتياجات الثورة القادمة."

تأسيس الإسلام

يعتبر كتاب "الحزب الهاشمى وتأسيس الدولة الإسلامية" وجهة نظر و تحليل القمنى لجذور فكرة تأسيس الدولة الإسلامية ، ولكن الكثيرين رأوه أشبه بضربات خفية وظاهرة للإسلام و كعبة الإسلام ونبى الإسلام ودس السم فى العسل" .

جاء الكتاب مخالفا لوجهة نظر المؤرخين القدامى عن تاريخ الإسلام ، فقد حلل القمنى التاريخ الإسلامى على أساس كونه" ظاهرة بشرية وليست كمسيرة دينية ، تُحركها إرادة الله دون تدخل من الماورائيات والفوق منطقيات".

بل إن الإسلام-كما يرى- يصبح أقرب إلى رسالة سياسية هدفها الأول، تكوين دولة الحزب الهاشمى "دولة بنى هاشم"، هذه النظرية بالتحديد ستعارضها نظرية مشابهة تتحو أيضا لدراسة الإسلام كتاريخ و رسالة سياسية دون أى اعتبار دينى على يد خليل عبد الكريم لكن الأخير يرى أن رسالة الإسلام السياسية كانت بناء دولة قريش..

يعتقد القمنى أن العامل الاقتصادى والفكر القومى العروبى لعب دورًا كبيرًا فى نشوء الإسلام، وحسبه أيضًا .. فإن عبد المطلب بن هاشم جد الرسول محمد تمتّع بوعى سياسى وقومى رفيع وحاول زرع البذور الأولى نحو الوحدة القومية، فدعا إلى إلغاء التماثيل والأصنام وغيرها من الوساطات والشفاعات، وبدأ بغرس فكرة الحنفية مُستلهمًا أسسه من ديانة إبراهيم الذى يعده العرب أبًا لهم.

يرى القمنى أن الرسول محمدًا أكمل مابدأ به جده وقام الإسلام بالتخلص من أرستقراطية قريش واستقر أمر الدولة العربية الإسلامية الوليدة للبيت الهاشمى وتراجع نفوذ الأمويين من أبناء عمومتهم ليتأجج بعد ذلك الصراع التاريخى بينهم، على أسس اقتصادية اجتماعية جديدة، خاصة بعد اتساع الدولة بالفتوحات وانتشار الرسالة الجديدة. وعندما سنحت الفرصة للحزب الأموى انقضّوا على الهاشميين بضراوة واستولوا على الحكم ، وساعتها تجلت مشاعرهم تجاه بنى عمومتهم فى المجازر الدموية التى راح ضحيتها كل من أيّد البيت الهاشمى.

شبّه البعض كتاب "الحزب الهاشمى" برواية "آيات شيطانية" للروائى سلمان رشدى مع فرق واحد - حسب المقتنعين بهذه الفكرة - وهو أن القمنى لم يستخدم الألفاظ البذيئة التى استعملها رشدى بل إنه أساء للإسلام بهدوء

وبمنتهى الأدب حسب تعبيرهم.

مركسية الإسلام

فيما اعتبر كثيرون القمنى خارجا عن الدين ويُجسّد معول هدم له ، رحّب قليلون به وبآرائه وأفكاره ، ومن معارضيه: المفكر كمال حبيب ، الذى قال: إن ما يردده القمنى لا يعدو أن يكون "دجلاً ونصبًا ومحاولة للتسول والارتزاق من بعض الجهات القبطية والعلمانية فى مصر التى تقدم له الدعم ..

وقال الكاتب الأردنى شاكر النابلسى : ثقافة القمنى الإسلامية سطحية إلى حد كبير .

وأكد الكاتب المصرى منصور أبو شافعى : أن القمنى حاول - مركسة الإسلام - وتعمّد الكذب ليتمكّن من إرجاع مثلث "الإسلام والرسول والرسالة" إلى منابع جاهلية ويهودية .

وقال الكاتب المصرى إبراهيم عوض عن القمنى : إنه لم يركع لله ركعة، ويجاهر بقصص ممارساته للزنى والفجور والمخدرات، ولا يُجيدُ إلا الكذب وترديد أقوال المستشرقين .

وقال الكاتب الإسلامى أبو إسلام أحمد عبد الله : "الأنبا" هو لقب أحببتُ أن أمنحه من عندى - للكاتب سيد القمنى - من باب إنزال الناس منازلهم، فالرجل للحق وإن كان مُنتسبًا إلى كتبة ألوان الطيف السبعة، فهو شيعى حينًا ويسارى أو اشتراكى حينًا آخر، وحداثى وعلمانى وليبرالى حينًا ثالثًا، ثم كنسيًا حينًا رابعًا، إذ إن نجمه لم يسطع بين عشرات المهتمين بخصومتهم لإجماع الإسلام والمسلمين، إلا بعد أن أصبح كاتبًا متميزًا فى صحيفة "وطنى" القبطية.

و رأى محامى الجماعات الإسلامية منتصر الزيات أن القمنى كاتب ساخر يستغل قدراته الفكاهية فى الترويج ولفت الانتباه!

و كتب شريف الشافعى معلقًا على اعتزال القمنى الكتابة : يبدو أن "الصمت" هو النهاية الطبيعية أو عنوان الصفحة الأخيرة فى ملف قضية التهديدات التى تلقاها الدكتور سيد القمنى - أو قال إنه تلقاها - فى يوليو العام ٢٠٠٥ على بريده الإلكترونى من جماعات متطرفة أمَرَته - وفقا لروايته - بضرورة أن يكف عن الكتابة نهائيا فى مقابل نجاته من القتل.

والواقع أن "الصمت" الراهن هو المحنة الحقيقية التى تواجه القمنى وحده

"وربما كان هذا الصمت هو محنته أيضًا فى أوقات سابقة "، حيث إن عددًا من المخالطين له فى الأوساط الثقافية المصرية يروجون لفكرة أنه كان يبحث عن الشهرة والانتشار بأى وسيلة وأى ثمن، بل إنه أسرّ فى جلساته الخاصة على مدار السنوات الماضية بأنه يأمل فى وجود جماعة تقوم بتكفيره بعد هذه السنوات التى أفناها من عمره وهو يهاجم المقدسات الدينية الإسلامية.

لقد أُسدل الستار على قضية تهديدات القمنى مبكرًا، وفاتت فرصة استغلالها على النحو الأمثل بالنسبة له، فلم تَبْن هذه التهديدات المدعاة مجدًا جديدًا للدكتور القمنى اللهم إلا جائزة الدولة التقديرية التى حصل عليها العام ٢٠٠٩ وهو - بإجماع الكثيرين - لا يستحقها، ولم تُعْلِ أسهمه ككاتب وباحث ، ولم يرتفع توزيع مؤلفاته إلى أرقام قياسية.

آراء مؤيدة

أما المؤيدون.. فمنهم الكاتب الكبير أنيس منصور الذى قال يومًا للقمنى : ما أحوج الفكر المصرى الراكد والفكر العربى الجامد إلى مثل قلمك وطبيعى أن يختلف الناس حولك؟! ولكنك قلت وأثرت وأثريت وفتحت النوافذ وأدخلت العواصف وأطلقت الصواعق.

ومثله الكاتب العراقى جاسم المطير الذى قال : القمنى صرخة كبرى سوف لا ينضب لها عطاء من نور وتنوير وستكون هذه الصرخة الاحتجاجية فى رحاب الرعب السلفى قادرة على فتح أبواب الحرية الدينية وقادرة على إدانة يد القمع الفوضوى الإسلامى مثلما ستكون قادرة على إدانة السلطة التى تتراكم فيها عفونة العصور المظلمة وكهوفها.

ووصفه فالح الحمرانى بأنه " أثرى الفكر العربى - منهجيًا ومعلوماتيًا ورؤية - وأعماله إضافة فكرية ناصعة ومهمة تصبّ فى اتجاه بلورة موقف وفكر عربى أصيل من قضايا إنسانية عامة"، واعتبره الناشط الحقوقى الدكتور سعد الدين إبراهيم "مفكراً إسلاميًا كبيرًا ، مبدعًا مجتهدًا."

وأكد الكاتب الكردى طارق حمو أن "سيد القمنى أبدع وأنجز وأسّس مدرسة فكرية بحثيّة عملاقة، سلّط فى مشغله المتواضع، الضوء الساطع على نصوص التراث الصدئة، ففككها وأعادها إلى زمانها ومكانها الأولين، مستعينا لإنجاز كل ذلك، بإخباريات وسير هذا التراث نفسه."

رأى " البحوث الإسلامية" فى مؤلفاته

انتهى تقرير لمجمع البحوث الإسلامية " أكبر جهة فقهية فى مصر " إلى أن كتابات القمنى تطعن فى الإسلام، وتهين الصحابة ولا تصلح للتداول .

وكان المجمع رأى فى تقريره ، الذى أصدره فى شهر مايو ٢٠١٠ عدم صلاحية ١٢ كتابا للقمنى للنشر والتداول،بسبب ما فيها من الادعاء والطعن والتحريف والتكذيب فى حق الصحابة وأمهات المسلمين والعلماء .

وقال التقرير : إن القمنى ادّعى فى كتاب "الدولة الإسلامية والخراب العاجل"أن سيدنا عمر نسخ أحكام آيات القرآن، وأن قيمنا الإسلامية لا تعرف الحريات كما فى الديمقراطية الحديثة.

وزعم فى كتاب "الإخوان والدولة المدنية "، أن الإسلام فى كل تاريخه لا يعرف قانونا يحكم به الناس غير قانون الطوارئ، وأن الوطنية فى الفقه الإسلامى كُفر.

ورأى فى كتاب "المتأسلمون والوطن "، أن النبى "صلى الله عليه وسلم" لم يقم للعرب ما يشبه الدولة فى جزيرتهم إلا بعد ما يفوق الثمانين معركة عسكرية دموية بكل معنى الكلمة، وتفككت دولته على سرير المرض ، فقام أبو بكر يعيد جمعها بالحرب أيضا.

وفى كتاب "وهناك خلل فى الضمير" ادعى منتحل الدكتوراه أن السيدة عائشة - رضى الله عنها- هى من حرّضت على الفتنة الكبرى؛ مستندة إلى قدسيتها الدينية.

وفى كتاب "الحجاب وقمة الـ(١٧) " قال القمنى : إنه ليس صحيحا بالمطلق أن شريعتنا أى شريعة الإسلام- صالحة لكل زمان ومكان وهو وهم يجب أن نتخلص منه.

بينما ادعى القمنى فى كتاب "الإسرائيليات"أن الإسلام كان مستنبطا من اليهودية، واعتبر قصة آدم فى الجنة من الأساطير.

وفى كتاب "شكرا بن لادن" أساء القمنى إلى الصحابة بالكذب والافتراء والسب، فيما أكد التقرير أن كتاب "النبى إبراهيم والتاريخ المجهول" قائم على الإثارة فى كل ما يتصل بالعقيدة والتشكيك فى كل ما يتصل بالدين، ويسلك

أسلوبًا غـريبًـا شـاذًا يقـوم علـى تبـديل الكلمـات وتغـيـيـر الحـروف، واخـتـراع المتشابهات، وافتراض الوهم، وتقديم الخرافة على أنها اكتشاف تاريخى.

كما احتوى كتاب "رب الزمان ودراسات أخرى "، على أخبار أساطير فيما يتعلق بتعدد الآلهة، وتجريح الأنبياء ، وكتاب "النسـخ فى القرآن "، اشتمل على تشكيك المسلمين فى القرآن الكريم.

الفصل الثالث

حسن حنفى
حامى حمى " الإسلام الماركسى "

يُعدّ الأكاديمى المصرى الدكتور حسن حنفى - ٧٠ عاما - من أكثر المفكرين المسلمين تجرؤا على الإسلام والقرآن الكريم والثوابت الدينية، ويجاهر بآراء يعتبرها إسلاميون خروجًا عن الملة. يرى حنفى أن "اليسار الإسلامى" هو النقد الذاتى للحركة الإسلامية، وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية فى الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة.

أهم ركائز فكر حنفى نطالعها فى كتابه "التراث والتجديد" لأن هذا الكتاب - تحديدًا - أخطر طرحًا فى إفصاحه المباشر عن أطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غموض قد يحتاج إلى تفسير جلىّ.. بل إنه يعتز به وينادى بكل ما فيه.

الكتاب يحتوى على أبرز القضايا التى يدعو لها الدكتور حسن حنفى فى كتبه ومقالاته خاصة مؤلفه الضخم " من العقيدة إلى الثورة.. محاولة لإعادة أصول الدين" .. وكتابه "الدين والثورة فى مصر" وكتابه: "مقدمة فى علم الاستغراب " وللكاتب مقالات أخرى فى" فلسفة اليسار الإسلامى" .

العلمانية أساس الوحى

حول هذا العنوان.. يقول حسن حنفى : نشأت العلمانية فى الغرب استجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة .

وأضاف : نشأت العلمانية استردادًا للإنسان لحريته فى السلوك والتعبير وحريته فى الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأى سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره.

العلمانية إذن هى أساس الوحى، يكمل حنفى ، فالوحى علمانى فى جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر فى لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ما هى إلا رفض له. العلمانية فى تراثنا وواقعنا هى الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى.

وتبرز الفقرة السابقة بيانًا صريحًا لدعوة حسن حنفى.. فالصور الخارجية المرفوضة هى: علم الغيب "الجنة - النار - الملائكة".. فالوحى ـ أى القرآن أو الدين بصفة عامة ـ اغتصب حق الإنسان فى السلوك والحرية حسب زعم حسن حنفى.

وأن العلمانية استردت هذا الحق ـ المغصوب ـ وأعادته للإنسان، فالعلمانية تؤدى إلى الصدق، أما الدين والوحى والقرآن.. فيؤدى كل منهما إلى النفاق والكذب.

ويخلص حنفى.. إلى أن "العلمانية جوهر والدونية طارئة عليه"، فالدين من صنع التاريخ ويمعنى أوضح .. فالقرآن والدين الإسلامى نتاج بشرى من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة.. لأن الدين لا يظهر إلا فى مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور والعلمانية ترفض هذا الكهنوت - أى الدين- ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية التى لا يعرفها إلا حسن حنفى .. العلمانية فى تراثنا وواقعنا هى الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى. فأى دونية يقصد حسن حنفى؟ربما يقصد أن العلمانية هى الدين لأنها أساس الوحى حسب زعمه.

الحلال والحرام

يعتبر حسن حنفى أن من أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم - أى القرآن- هو الاهتمام بتحريم المحرمات وفى ذلك يقول: البداية بالمحرمات، والتشديد فى العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنسانى تحقيقًا للنواهى دون ذكر للمباحات التى يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردى فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع فى الإنسان الخوف بدل الشجاعة، والإحجام بدل الإقدام، ويجعل الإنسان متشككا فى سلوكه، متهمًا لنفسه، نادمًا على ما فعل. ما يرسخ فى نفسه الإحساس بالذنب الناتج عن الاقتراب من التابو. أو مجرد التفكير فيه، والوعى السياسى يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التى تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع، ما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم.

وهذه دعوة صريحة لرفض حكم الله والطعن فى آيات الله وقرآنه.. فالبداية بالمحرمات - حسب حنفى- هى سبب فشل تغيير الواقع بالقرآن! فحسن حنفى يقصد بقوله:" البداية بالمحرمات" قول الله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير و ما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق".

يتمادى حنفى فى جرأته على النص القرآنى قائلا: البداية بقوانين العقاب أو تطبيق الحدود، ويقصد حنفى بقوله" التشديد بالعقاب" قوله تعالى "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم".

وقوله تعالى: "الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله" وقوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم".. فهذه الآيات البينات الكريمات لا تعجب حنفى، بل هى - فى نظره - سبب فشل تغيير الواقع عن طريق القديم. أى عن طريق النص القرآنى بمعنى أن الشريعة الإسلامية فى نظره لا تصلح للواقع .

شعائر الدين

لم تسلم شعائر الدين الإسلامى من طعن حنفى، ولم يسلم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من تجاوزاته ، حيث يقول: "إن العلوم الأساسية فى تراثنا القديم لاتزال تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التى نشأت بها هذه العلوم والتى تقضى فى الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتى تمنع أيضًا إعادة فهمها وتطويرها، تسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب"..." هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقًا لمتطلبات العصر ، نظرًا لطول مصاحبتها للمعانى التقليدية الشائعة التى تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معانى جديدة فإنها لن تؤدى غرضها لسيادة المعنى العرفى الشائع على المعنى الاصطلاحى الجديد، ومن ثم أصبحت" لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها فى التعبير والإيصال."

يقول حنفى : لفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شىء والرسول والجنة والنار ما هى إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شىء ، ويدعو حنفى إلى التخلص منها، أى رفض الدين جملة وتفصيلاً.

يزيد حنفى شرحه للفظ الجلالة: "يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن شىء معين أى أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور فى العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيرا عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضا عن فقد، يكون فى الحس الشعبى - هو الله - وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضا فى الشعور الجماهيرى هو "الله"، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: "الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضا بالله".

وزعم حنفى أن هناك تناسبًا طرديًا بين الحجاب والرذيلة، فكلما ازداد الحجاب زادت الرذيلة، فالحجاب- فى نظره - رغبة جنسية مكبوتة والحجاب سبب تفشى الرذيلة والفوضى الجنسية فى العالم.

ويتطاول حسن حنفى على النص القرآنى "يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"، ويتساءل: لماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكرًا أم أنثى؟! ولماذا يصنف المواطنون إلى رجل وامرأة؟

من أغرب أقواله

"الدين طارئ والعلمانية هى الأصل والأساس" ، هذا ما يذهب إليه حسن حنفى فى التحرر من الروابط العقائدية ، ووصل به شططه إلى أن تساءل : " وهل تجب النبوة لحاجات عملية أى للتنفيذ والتحقيق وأداء الرسالة مادام الإنسان غير قادر على سن القوانين وتأسيس الشرائع وإقامة الدول أو تجنيد الجماهير وتوجيه الأمم وفتح البلدان؟، ألا يمكن للعقل قيادة المجتمعات مثل قيادة الإمام لها؟، هناك أيضًا العقل الاجتماعى والعقل السياسى والعقل التاريخى لوضع القوانين وسن الشرائع.. إن العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل . هل استطاعت النبوة أن تخفف من نقائص الإنسان وهى أول من يعترف بها؟ " أهـ - من العقيدة إلى الثورة .

حنفى يتكر شرع الله الملزم ويعتبر ما جاء فى القرآن فكرًا ثقافيًا قائلاً : " ليس القرآن كتاب تحليل وتحريم بل كتاب فكر وليس الغرض منه تغليف العالم بقوانين وتقييد السلوك الإنسانى بقواعد بل مساعدة الطبيعة على الازدهار والحياة على النماء " أهـ - من العقيدة إلى الثورة .

ويقول أيضاً : " نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعنى هذان المصدران أى تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع " أهـ - التراث والتجديد .

ووصل به الأمر إلى أن قال : " وما أسهل أن يولد الدفاع عن حق الله دفاعًا مضاداً عن حق الإنسان " أهـ - من العقيدة إلى الثورة .

ويضيف : " فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد ، يكون فى الحس الشعبى هو الله " اهـ - السابق .

وقال : " ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولاهوت الثورة ، ولاهوت التنمية ، ولاهوت النظام ، ولاهوت التقدم ، كما هو الحال فى العديد من الثقافات المعاصرة فى البلاد النامية التى نحن جزء منها " أهـ - السابـــــق ".

وهو يقول موضحاً المنهج الاعتزالى كخيار بديل عن الدين : " إن وجداننا المعاصر يعانى من ضياع أخذ زمام المبادرة منه باسم الله مرة ، وباسم السلطان مرة أخرى ، ومن ثم فالاختيار البديل ، الاختيار الاعتزالى .. هذا الاختيار قد يكون أكثر تعبيرًا عن حاجات العصر، وأكثر تلبية لمطالبه " أهـ - التراث والتجديد " .

ومما جاء فى كتابه (من العقيدة إلى الثورة) ما نصه: "والكذب والإضلال

والغواية وكل القبائح تجوز على الله، ما دام الله لا يجب عليه شيء" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٨٢/٤).

وأيضاً، ما نصه: "ويكشف أى دليل على إثبات وجود الله على وعى مزيف" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٤٦/٢-٤٧).

وفى ص ٧ من الكتاب نفسه ما نصه: "فى المراحل الأولى كانت البراهين غير متميزة وغير منظرة، بل كانت تعتمد على الأيات القرآنية" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٧).

وما نصه: "الله إذن مشروع شخصى وحياة الفرد تحقيق لهذا المشروع" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٣٨٥/٥).

وفى الجزء ٥ ما نصه: "كما أن الله والإنسان شىء واحد، فكذلك الله والطبيعة شىء واحد، لا فرق بين الخالق والمخلوق فى أسطورة الخلق" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٤٣١/٥).

وفى الصفحة نفسها يقول: "الله يخلق من ذاته إلهًا يكون هو نفسه مثل المسيح، والله جسم موجود وواقع مرئى" من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٤٣١/٥)، ثم يقول: "وتعويضًا عن سلطان الدنيا وملك الأرض يكون الإنسان الإله ملكًا على رأسه تاج ... الإنسان الضائع يتحول إلى إله" من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٤٣١/٥) .

وفى ص ٦٧ ما نصه: "وقد أصبح الشيطان فى وجداننا علة نفسر بها كل الشرور والآثام أقوى من الله" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٦٧).

وفى ج ٤ ص ٢٥٦ ما نصه: "وإذ أن الله كذات وكصفات هو الإنسان الكامل كان أول مضمون للإيمان هو الإيمان بالإنسان الكامل" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٢٥٦/٤).

ج ٥ ص ٢٤٨ ما نصه: "وما المانع من أن يصير أهل الآخرة إلى جمود حتى لا يشاركوا الله فى الخلود" (من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفى، (٨٢/٤).

وهكذا يبدو الرجل ماديا لا يعترف بقدسية الله تبارك وتعالى، فلا مجال للحديث عنده عن الإيمان بالله أو الإسلام ، وبالرغم من تمسح الدكتور حسن حنفى بالإسلام إلا أن كل ذلك لا يؤثر فى جرحه علميًا وعقديًا وتصنيفه كصاحب مشروع تخريبى لتدمير هوية الأمة الإسلامية، ولو كره الكارهون والمفتونون به.

الفصل الرابع

أدونيس
الدين لم يعد تجربة روحية

يوصف الشاعر السورى على أحمد سعيد" أدونيس" المولود فى العام ١٩٣٠ بأنه من" أكثر الشعراء العرب إثارة للجدل ، وإبحارًا ضد الإسلام ، كما أثارت أطروحته" الثابت والمتحول "سجالاً طويلاً وعنيفًا ، لا تزال أوزاره باقية حتى الآن، وهو من أطلق على نفسه اسم" أدونيس" تيمنًا باسطورة" أدونيس" الفينيقية.

بعيداً عن منجزاته الشعرية والجوائز العديدة التى حصل عليها منذ العام ١٩٧١ ، وترشيحه لنيل جائزة نوبل للآداب ، فإن أفكار أدونيس ومؤلفاته التى تتقاطع مع الثوابت الدينية جاءت صادمة ، وجلبت عليه اتهامات ب" الكفر والإلحاد والردة والإباحية" .

يعد أدونيس المُروّج الأول لمذهب الحداثة فى البلاد العربية.. هاجم التاريخ الإسلامى والدين والأخلاق فى رسالته الجامعية التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة القديس يوسف فى لبنان وكانت بعنوان" الثابت والمتحول" ..

الثابت والمتحول

من النصوص التى ضمّنها " أدونيس" كتابه "الثابت والمتحول "عن عقيدته، تجاه الله - سبحانه وتعالى - والأنبياء :"الله والأنبياء والفضيلة والآخرة الفاظ رتبتها الأجيال الغابرة، وهى قائمة بقوة الاستمرار لا بقوة الحقيقة والتمسك بهذه التقاليد موت، والمتمسكون بها أموات، وعلى كل من يريد التحرر منها أن يتحول إلى حفار قبور، لكى يدفن أولا هذه التقاليد كمقدمة ضرورية لتحرره !

"الثابت والمتحول ١٨٧/٣ "

ومن الغريب أيضًا أن بعض المنتسبين للحداثة مثل:"البياتى " شهدوا بخبث طويته حتى قال :"وربما يكمن وراء رفض أدونيس تراث الشعر العربى قديمه وحديثه دعوة شعوبية يتبناها فى السر والعلن ويمكن تفسير سلوك أدونيس هذا بالباطنية الشعوبية و«الشعوبية كلمة قديمة تطلق على من يفضل الشعوب الأخرى من العجم على العرب "

ويرى الكاتب موسى السليمانى أن "أدونيس "هو سليل إرث ثقافى ملحد قديم، كان يصرح بمعاداة الإسلام من خلال شعره وكان بعضهم يقع فى أيدى الخلفاء فيعملون على قتله وتصفيته بعد اتهامه بالزندقة، كما حصل لبشار بن برد الشاعر، فقد كان يفضل إبليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من الطين، وكان"الرازى وابن الراوندى» يجحدان النبوة و"المعرى" يرى بطلان القرآن وله مؤلف يعارض به القرآن.

كشف أدونيس عن متابعته وتأييده للرازى وابن الراوندى فى جحود النبوات فقال : لقد نقد الرازى النبوة والوحى وأبطلهما وكان فى ذلك متقدما جدا على نقد النصوص الدينية فى أوروبا فى القرن الـ"١٧"وأن موقفه العقلى نفى للتدين الإيمانى ودعوة إلى إلحاد يقيم الطبيعة والمحسوس مقام الغيب.

ويرى فى تأملهما ودراستهما الشروط الأولى للمعرفة وحلول الطبيعة محل الوحى ، ما جعل العالم مفتوحا أمام العقل : فإذا كان للوحى بداية ونهاية، فليس للطبيعة بداية ونهاية، إنها إذن خارج الماضى والحاضر..إنها المستقبل أبدًا .

إذن مهّد الرازى وابن الراوندى للتحرر من الانغلاقية الدينية ففى مجتمع تأسس على الدين باسم الدين كالمجتمع العربى لابد أن يبدأ النقد فيه بنقد الدين ذاته"الثابت والمتحول ٢١٤/٢ "

شرائع إبليس

فى كتابه"شرائع إبليس فى شعر أدونيس" الصادر عن مكتبة مدبولى للنشر، دعا الدكتور صالح عضيمة إلى مناظرة متلفزة مع أدونيس، قائلا: لأبيّن لك أمام الناس كل الناس أنك شاعر محتال ماكر، وأن أكثر شعرك مسروق"ملطوش"، وأن كتابك"الثابت والمتحول " هو من صنع معلمك ومرشدك"بولس نويا "، وليس لك فيه ضربة قلم، ولأبيّن لك أشياء أخرى مهولة، تكاد لهولها تُخرج الإنسان من نفسه، وليس من جلبابه فقط.

والكتاب يقع فى٧ فصول: أولها بعنوان" الكلمة الحرة" يعتبر فيها عظيمة أنه كعادته فى كتبه هو يحاول الإشادة بصرح الحق، ويحق أوهام الباطل مؤكداً أن كتابه ليس فيه أى نوع من الثأر أو التشفى، وأنه قصد هذا الأسلوب المتهكم الساخر الهازئ فى كتابه عن عمد، ويهدى الكتاب إلى والده وإلى والد أدونيس الشيخ أحمد سعيد.

يتهم صالح عظيمة، أدونيس، بأنه يلهث وراء الجوائز وأنه كاذب فى كثير من مواقفه وأنه يرجم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالهمز واللمز بألوان مختلفة من الإشارات والإيماءات بهين القول ورخيص الكلام، لسبب أو لآخر فى المجالس المختلفة، ولكن فى المحاورات الإعلامية يُغيّر جلده ولونه وقوله.

وفى الفصل الثانى المعنون، بـ"بحث فى الذات والهوية" يصف الكاتب أدونيس بأنه - قرين إبليس وسميره - ويستنجده حين تأبى عليه القريحة، مشيراً إلى أن أدونيس يقرع الأسماع بأن" إبليس هو المعلم الأول للحرية والقائد الأول للتحرر، وهو الثابت الذى لا يتحول والمتحول الذى يهز كل ثابت"، ثم يقول عظيمة: إن" أدونيس لا يستطيع إلا أن يكون وليا لإبليس وظلا وتابعا له .. ويعتبره مخلصا من العبودية وقائدا للحرية وسببا من أسباب الديمقراطية."... أما الفصل الثالث بعنوان: سرقة أخرى وحكاية الثابت والمتحول - الفضيحة - فيشير فيه عضيمة إلى كتاب غير مشهور يفضح - كما يقول - عن سرقات أدونيس. فيقول : إن الشاهد الأكبر على سرقات أدونيس هو كتابه"الثابت والمتحول" الذى يعتبره سرقة من بولس نويا، وينقل لنا عضيمة حديثا له مع بولس يعتبره دليلاً ناصعًا على سرقة أدونيس للكتاب منه، معتبرًا أن المقدمة التى كتبها بولس لكتابه لا تختلف فى أسلوبها ولا فى معالجتها للبحث عن أسلوب أدونيس.

وفى الفصل الرابع"حيض الرجال" قال عضيمة: إنه جمع الكثير من الصحف والمجلات ليعرف ما يقوله أدونيس فى أجوبته على الأسئلة التى تطرح عليه.. .

وفى الفصل الخامس "بحث فى الاتهام والإثبات " يعرض لكتاب الباحثة البريطانية "فرانسيس ستونر سوندرز» التى تروى فيه دور المخابرات الأمريكية والبريطانية فى تمويل الأنشطة الثقافية وتحريكها فى أنحاء العالم، وأن مجلة "الشعر" إحدى ثمار هذا التوجه المشبوه، وأدونيس أحد جنودها الكبار الذين رافقوها منذ اللحظة الأولى.

وفى الفصل السادس .. ينشر الكاتب استدراكات وتصحيحات على ديوان الشعر العربى وهى المختارات التى انتخبها أدونيس من الشعر العربى، يشير إلى أن المراجع التى اعتمد عليها جاءت أقل من القليل ومن اليسير، وينفى قول أدونيس :إن عمله هو العمل الأول فى المختارات المنتخبة، فقد سبقه كثيرون منهم أبو تمام فى كتاب"الحماسة" ومهدى الجواهرى فى كتاب"الجمهرة"، ويشير إلى نقص كبير فى مختارات أدونيس، بالإضافة إلى إغفال الكثير من الشعراء، ويعتبر سبب الإغفال هو الجهل، على حد قوله.

أما الفصل الأخير فيسميه عضيمة"قصيدة التكوص» معتبرًا القصيدة التى ألقاها أدونيس العام ١٩٧٥ فى حفل تكريم الشيخ أحمد محمد حيدر، وهى قصيدة عمودية، " انقلابا ونكوصا " على ما كان قاله من قبل من أنه هجر الشعر الموزون إلى غير رجعة.

وبعدها أنكر أدونيس أنه قال القصيدة وقال: إنها قصيدة مجاملة، وكان لابد منها وأن وقتها انتهى، ويعتبرها المؤلف متينة السبك مترابطة البنية تشير إلى معان بعيدة. كما ينشر وثيقة لمقالة انتحلها أدونيس من كاتب فرنسى، وينقلها المؤلف من كتاب أدونيس منتحلا لكاظم جهاد، وهى مقالة كتبها بالفرنسية"جيراربونو»، ونشرت فى مجلة"لونوفيل أوبزرفاتور" ..

ونشر النص العربى لأدونيس فى الكفاح العربى بعنوان"الفيزياء تعلم الشعر»، ويقول: هذه الوثيقة ليست وحدها التى تؤكد أنه سارق متمرس فظّ لا يستحى، فحياته كلها - من أولها إلى آخرها - سرقة كئيبة فظة، ومن سرق مقالة يسرق كتبا ويسرق بيوتًا ويسرق جيوبًا وحقائب .. لكم أود أن يعرف كيف يخجل وكيف يستحى وكيف ينطمر؟

أزمة الجزائر

أدلى أدونيس بتصريحات إلى إحدى الصحف الجزائرية أثارت أزمة عنيفة ، عندما تطاول ـ على الله وطعن فى الإسلام والقرآن والسنة النبوية ـ ما أثار استفزاز الأوساط الدينية هناك، حيث استنكر رئيس جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر الشيخ عبد الرحمن شيبان، تصريحات أدونيس واعتبرها "إهانة للإسلام الذى هو دين الدولة الجزائرية".

وقال شيبان: إن أدونيس تطاول على الإسلام وعلماء الإسلام فى أرض الجهاد والاجتهاد، أرض المليون ونصف المليون شهيد، وفى رحاب المكتبة الوطنية الجزائرية"ذاكرة الأمة".. وأضاف بيان جمعية العلماء المسلمين ردا على ما صرح به الدكتور أدونيس من طعن فى التعاليم الإسلامية الصريحة ـ قرآنا وسنة ـ وتجريح سافر، ساخر، فى علماء الإسلام وفقهائه المجتهدين ـ القدماء والمعاصرين ـ ودعوته المسلمين إلى التخلى عن الدين بمثل أقواله:"إن طريق النهضة لا يتقدم بنا كمسلمين، إلا إذا أحدثنا قطيعة تامة مع تراثنا الدينى، وتبنينا منظومة فكرية حداثية ترفض تقديس المقدسات الإسلامية».

كما توقف البيان عند تصريح أدونيس:"العودة إلى الإسلام تعنى انقراضنا الحضارى»، وقوله فى المرأة إنها:"لا وجود قانونيا لها فى النص القرآنى وأنها ليست حرة ولا سيدة مصيرها»، وأنها:"أداة لإشباع غريزة الرجل».

واعتبر بيان الشيخ شيبان أن ما قاله أدونيس عبارة عن تعدٍّ صارخ على الإسلام، جاء من"شاعر إباحى ملحد، يدعى بغير اسمه ولقبه ويكتب شعرًا بلا روح ولا نغم»... وكان أدونيس قال: إن الإسلام كفّ عن أن يصبح"تجربة روحية»، وأضحى شرعا فقط بشأن"كيف تلبس المرأة، وكيف يصلى الرجل، وكيف يقدم رجلا ويؤخر أخرى، فلم يعد الإسلام متجها إلى القلب والروح».. وهاجم أدونيس الداعية الإسلامى يوسف القرضاوى، ووصفه بـ"الفقيه الصغير"

أفكار شيطانية

شبّه الكثيرون أدونيس بسلمان رشدى صاحب"آيات شيطانية» ، ولكن هناك من رأى أن الأول أعظم خطرًا من الثانى، ربما كان ولا يزال أكثر تجرؤًا على تجاوز الخطوط الحمراء وسنضرب لذلك مثالين:

المثال الأول: الحديث الذى أدلى به أدونيس إلى صحيفة"لوفيجارو» الفرنسية

ونشرته"النهار" اللبنانية بترجمة"مدنى قصرى"، والذى يعكس روح العلمانية القصوى منذ عنوانه:"أدونيس: الإنسان مركز الكون" ! وفى الحوار يقول أدونيس:"الشخص فى الإسلام يعيش لكى ينجز ما هيّئ له سلفا، والحال أن الهوية خلق دائم، فالكائن البشرى يخلق هويته حين يخلق عمله".

ويقول أيضا:"كان جميع الشعراء الكبار ضدّ الوحى، لكنهم لم يجاهروا بذلك صراحة، كانوا يقولون ذلك داخل حياتهم الخاصة، كانوا يسعون إلى خلق وحيهم الخاص بهم - أى قرآنهم - إنى أتحدث عن كبار الشعراء من أمثال :أبى نواس وأبى تمام والمعرى والمتنبى. وبالمثل أنشأ الصوفية تصورهم الخاص بالإله، لا صلة له بتصوّر القرآن، من هنا إذن كان تصوّرا جديدا فى العلاقات ما بين الإنسان والله ورؤية جديدة للقيم وللحقيقة لم يُفصَح عنها فى شكل نهائى. وكانت هذه ثورة معرفية داخل الإسلام. أما الذى خلق عظمة الشعر فليس الدين، بل على العكس"

المثال الثانى: المحاضرة التى ألقاها أدونيس فى لبنان أيضا، برعاية"متروبوليت - بيروت»، ونشرتها صحيفة"النهار" أيضًا، أوضح فيها معنى ما أسماه"النظرة الأوحدية الدينية، بنية وممارسة"، استنادا إلى الرؤية الدينية الوحدانية الإلهية للإنسان والعالم. وقال أدونيس:

- قامت هذه الرؤية الوحدانية فى صورتها الأكثر إحكاما ودقة على ما يلى:

- رسالتها هى الرسالة الإلهية الأخيرة.

- النبى الذى نقلها أو بلّغها هو آخر الأنبياء أو هو، وفقا للمصطلح الإسلامى، خاتم الأنبياء، ورسالته هى، طبعاً، خاتم الرسالات، كذلك.

وفى نظر أدونيس،"يعنى ذلك أمرين أساسيين":

الأول: ليس للإنسان ما يقوله، أو ليس لديه ما يضيفه إلى الرسالة الإلهية، فبين هذه الرسالة التى هى كلام الله، والأشياء تطابق كامل ونهائى، من البداية وإلى نهاية العالم، وليس على الإنسان، إذن، إلا أن يؤمن، وأن يفسر ويشرح. أما التأويل ففيه نظر، وهو موضوع خلاف، لأن فيه شيئا من عند الإنسان يزعم أنه يضيف جديدا إلى المعرفة التى هى من عند الله.

الثانى: الله نفسه لم يعد لديه ما يقوله، من حيث إنه أعطى كلامه الأخير لنبيه الأخير. فالعالم معروف سلفا والمعرفة بحقائقه أعطيت مرة واحدة وإلى الأبد من قبل الله، بوساطة الوحى.

الفصل الخامس

أحمد صبحي منصور
زعيم القرآنيين

فى العام ٢٠١٠ .. أكمل الدكتور أحمد صبحي منصور ، المفكر المصري المعروف ب"زعيم القرآنيين" عامه الستين ، قضى نصفها في إثارة الجدل واستعداء المؤسسة الدينية في مصر ، وقطاعات كبيرة من المسلمين ، على خلفية أفكاريتبناها بإنكار السنة النبوية، والاكتفاء بالقرآن الكريم كمصدر للتشريع الإسلامي ، ويفتقد منصور لأبسط أدوات الإقناع بآرائه بسبب أسلوبه المبتذل الذييفتقر دائماً إلى الموضوعية، فهو سليط اللسان كثير السب والشتم لكل منيخالفه الرأي.

يقيم منصور حاليًا في الولايات المتحدة الأمريكية.. تاركًا مصر قبل نحو "١٠" سنوات ، بسبب ملاحقات له ولأسرته بتهم عدة.. أبرزها : ازدراء الدين الإسلامي ، وترويج أفكار إلحادية مثل: إنكار الاسراء والمعراج ، والادعاء بأن الكعبة وثنية، وأنكر جبل عرفات وأن شعبان - وليس رمضان - هو شهر الصوم، فضلا عن دعوته إلى ضرورة حذف اسم " محمد " من الأذان.

فكر التيار القرآني.. كمايعلنه صبحي منصوريقوم على اعتبار أن التيار السلفي الذييؤمن بالقرآن والسنة هو أكبر عدو للإسلام ، فهذا التيار السلفي- كمايقول -يقوم أساسا على الرجوع للأحاديث التي تمت كتابتها بعد وفاة النبي _صلي الله عليه وسلم- ويسميها (سُنة)، وينسبها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما لا نوافق عليه كمايقول هو.

والسنة -عند القرآنيين- هي شرع الله تعالي المذكور في القرآن الكريم، وتلك هي السنة العملية التييتمسكون بها، أما السنة القولية أي "الأحاديث» فهي عندهم حديث الله تعالى في القرآن الذييؤمنون به وحده لأن الله تعالى كرر في القرآن الكريم قوله تعالى: "فبأي حديث بعدهيؤمنون» "الأعراف: ١٨٥»، أي لا إيمان بحديث خارج القرآن الكريم.

والقرآنيونيرفضون أحاديث البخاري ومسلم والشافعي ومالك وغيرهم، ويرفضون نسبتها إلى النبي محمد _صلى الله عليه وسلم- ويرفضون أن تكون جزءا من الإسلام لأن الاسلام _كمايقول صبحي منصور- اكتمل بالقرآن ويقوله تعالي: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" .. "المائدة: ٣".

القرآنيونيرون أنهم بفكرهم هذايبرئون خاتم النبيين من هذه الأحاديث المنسوبة إليه، ويؤمنون بأنه بلّغ الرسالة كاملة تامة، وهي القرآن الكريم، ولكن المسلمين بعده بدلوا وغيروا وحاولوا تسويغ مايفعلون، فاخترعوا تلك الأحاديث لتبيح لهم خروجهم عن القرآن وتفرقهم وحروبهم.

يقول صبحي منصور: "نحن نرى أن أحاديث البخاري وغيره -ممايسمونها سنة- ليست سوى ثقافة دينية تُعبّر عن عصرها وقائليها، وليس لها أي علاقة بالإسلام أو نبي الإسلام.. ولأنها ثقافة تعبر عن عصورها الوسطى، وتعكس ما ساد في هذه العصور من ظلم باسم الدين، واضطهاد باسم الدين، وحروب باسم الدين، فإن الإصلاح اليوم لا بد أنيبدأ بنفي تلك الأحاديث وثقافتها إلى العصور التي جاءت إلينا منها.. لنبدأ في الاحتكام إلى القرآن الكريم بشأنها، وهذا مايفعله القرآنيون".

يستند القرآنيون على عدد من المقولاتيبرهنون بها على رفضهم للسنة النبوية، فهم أولايهاجمون المشايخ، ويصفونهم بالمرتزقة لأنهميتاجرون حسب زعمهم

بالأحاديث الموضوعة ظلما للنبي ، وثانيايستنكرون وصفهم بالقرآنيين، مؤكدا انه لايوجد مسلم غير قرآني ، ويوضحون أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كانيتبع القرآن وكان قرآنايمشي على الأرض وأنه أرسل لتبليغ القرآن.

فهم – حسب قولهم –يؤمنون بالسنة العملية وليست القولية ، مثل التي دعا الرسول إلى اتباعها في العبادات، كما في الوضوء والصلاة والحج وينكرون السنة القولية، خاصة ما لايتوافق منها كتاب الله تعالى .

ليسوا قرآنيين

بأسلوب قاطع. يعتبر الباحث احمد أبو زيد "القرآنيين" . الذين يقودهم أحمد صبحي منصور . أبعد مايكونون عن جوهر هذا اللقب، فهم– على حد قوله – زنادقة مرتدون ملحدون بإجماع العلماء، ومن الخطأ والخطر تسميتهم بـ"القرآنيين"، فما هم _بقرآنيين، ولكنهم أعداء القرآن، والقرآن منهم براء، ولو كانوا قرآنيين حقا لما أنكروا ما أوجب الله أتباعه في القرآن، بل هم كما سماهم أئمة الإسلام "أهل _الزيغ والزندقة والضلال"، لأن الذييؤمن بالقرآن الكريم حقا، هو الذييطيع الرسول محمدا – صلى الله عليه وسلم– ويتبع سنته الفعلية والقولية والتقريرية، أما الذيينكر السنة ويُكذّب بها، فهو– بإجماع العلماء – مرتدّ خارج عن ملة الإسلام، فكيفيكون قرآنيا؟!

وإذا نظرنا إلى زعيم هؤلاء المنكرين للسنة في مصر، في الوقت الحالي.. الذي سعى إلى إحياء هذا الفكر منذ سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وهو _أحمد صبحي منصور_ . الذييصفه الصهاينة والأمريكان بأنه _مفكر إسلامي_ . نجد أنه قد تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ثم عمل بالتدريس لطلبة الأزهر، وبدأيلفت الأنظار إليه بمايطرحه من آراء مخالفة لإجماع المسلمين، ومعادية للسنة النبوية.

بدأ نضاله الفكري في حرب الإسلام والسُنة المطهرة منذ العام ١٩٧٧، بالبحث والمقال والكتاب والندوات، وصودرت بعض كتبه، وانكشف أمره من طلابه، واعترف في التحقيقات بضلاله الذي تمسك به، فأصدر الأزهر قراراً بفصله من الجامعة العام ١٩٨٧، بسبب إنكاره للسنة النبوية، وتطاوله على علماء الحديث النبوي مثل البخاري، الذييتهمه بالعداوة للإسلام والقرآن، وقيامه بتأسيس مذهب الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتشريع الإسلامي، ثم سافر إلى

أمريكا.

وبعد عودته إلى القاهرة.. وضع قدميه على أحد المنابر بالقاهرة،يبشّر بدعوته الجديدة التي تقوم على تسفيه كل ما ورد في السنة النبوية من أحكام، إلا أن المصلين استشعروا الكفر البواح فيمايقول، فحملوه على أكتافهم إلى قسم الشرطة، حيث أودع في السجن عدة أسابيع، ثم خرج ليعمل محاضراً بالجامعة الأمريكية في القاهرة لعدة شهور، إلى أن تفرغ للعمل في مركز ابن خلدون بالقاهرة، لمدة "٥" سنوات، مع مديره سعد الدين إبراهيم - وهو المركز المعروف بتبعيته للأمريكان واليهود وعدائه الفج للإسلام - والذي داهمته الشرطة المصرية العام ٢٠٠٠، وأوقفت مديره بـ "تهمة خيانة الوطن".

بعد ذلك لجأ صبحي منصور إلى الولايات المتحدة؛ خوفًا من اعتقاله في مصر، ليعمل مدرسا في جامعة هارفارد، وبالوقفية الوطنية للديمقراطية، لينشئ مركزه الخاص تحت اسم "المركز العالمي للقرآن الكريم"،كما أسّس مع آخرين في واشنطن "مركز التنوع الإسلامي" العام ٢٠٠٤، وأسس مع ناشطين أمريكيين في بوسطن "مركز مواطنون من أجل السلام والتسامح" العام ٢٠٠٥، وشارك في إدارة "مركز التحالف الإسلامي ضد الإرهاب".. في واشنطن منذ العام ٢٠٠٥.

وبعد أن استقرت أحواله نوعًا ما، بدأ حربه على السُّنة على ساحة الإنترنت، منذ أكتوبر العام ٢٠٠٤ ، إذ أنشأ موقعًا على الشبكة يدعى "أهل القرآن"، وهوينشط الآن في نشر مقالاته وكتبه ، على موقعه هذا وعلى بعض المواقع الأخرى، وتلقى صدى واسعا من قبل أعداء الإسلام، ويتم ترجمة بعضها للإنجليزية.

حجج مردودة

إذا وقفنا على حكم من أنكر وجوب العمل بالسنة، نجد إجماع العلماء بأنه كافر مرتد، لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة،يقول :الإمام السيوطي في كتابه _مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: "فاعلموا -رحمكم الله- أن من أنكر كونَ حديث النبي -صلي الله عليه _وسلم- قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة _الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء من فرق الكفرة".

ومن أعظم ما احتجّ به الأئمة على بطلان هذا المذهب وفساده، ما أخرجه البيهقي بسنده _عن شعيب بن أبي فضالة المكي أن عمران بن حصين -رضي

الله عنه- ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب _عمران "رضي الله عنه" وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً، ووجدت المغرب ثلاثاً، والغداة ركعتين، والظهر أربعاً، والعصر أربعاً قال: _لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟ أخذتموه وأخذناه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . ثم _ذكر أشياء في أنصبة الزكاة، وتفاصيل الحج وغيرهما، وختم بقوله: أما سمعتم الله قال في _كتابه: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" "الحشر: ٧" قال عمران: فقد أخذنا عن _رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أشياء ليس لكم بها علم" ..

فالحرام ما حرمه الله في كتابه، أو حرمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، كما أن الواجب ما أوجبه الله أو أوجبه رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن زعم الاكتفاء بالقرآن الكريم والاستغناء به عن السنة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان في زعمه للإسلام واكتفائه بالقرآن كاذبا، ودليل ذلك أن السنة شارحة للقرآن مبينة له، وقد تأتي منشئة للأحكام؛ لأنها وحي من الله تعالى إلى رسوله الكريم -صلى الله عليه وسلم- كما قال تعالى: "ومابنطق عن الهوى إن هو إلا وحييوحى" "النجم:٣، ٤"، وقال تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" "الحشر: ٧".

ومن زعم الاكتفاء بالقرآن لميمكنه أداء الصلاة ولا إخراج الزكاة ولا الحج ولا كثير من العبادات، التي ورد تفصيلها في السنة، فأينيجد المسلم في القرآن أن صلاة الصبح ركعتان، وأن الظهر والعصر والعشاء أربع، والمغرب ثلاث؟

وهليجد في القرآن كيفية أداء هذه الصلوات، وبيان مواقيتها؟

وهليجد في القرآن أنصبة الذهب والفضة وبهيمة الأنعام والخارج من الأرض، وهليجد بيان القدر الواجب إخراجه في ذلك؟

وهليجد المسلم في القرآن كفارة الجماع في نهار رمضان، أو حكم صدقة الفطر والقدر الواجب فيها؟

وهل يجد المسلم تفاصيل أحكام الحج من الطواف سبعاً وصفته وصفة السعي، ورمي الجمار والمبيت بمنى؟.. إلى غير ذلك من أحكام الحج.

فالسنة النبوية الشريفة.. مصدر من مصادر هذا الدين، سواء للتشريع أو للتوجيه، والذينينكرون السنة، هؤلاء في الحقيقة لا منطق لهم؛ إذ كيف تستطيع

أن تفهم القرآن من دون السنة؟ والرسول -صلى الله عليه وسلم- عاش حياته يترجم عن الإسلام العملي، وحياته -صلى الله عليه وسلم- هي حياة تفصيلية للإسلام، ومنهجه منهج الشمول والتكامل والتوازن، ومن ينكر السنة إنماينكر القرآن نفسه.

الجذور التاريخية

أستاذ العقيدة بالأزهر الدكتور محمود محمد مزروعة.. يكشف في كتابه الموسوم "شبهات القرآنيين حول السنة النبوية".. عن أن تاريخ منكري سنة رسول الله صلى الله عليه وسلميكاديقرن بتاريخ منكري رسالته _ صلى الله عليه وسلم - فالكفر بسنته صلى الله عليه وسلم هو قرين الكفر برسالته، فهما أمران متقاربان زماناً متساويان منزلة، ويكادان يكونان متماثلين حكماً , فإنكار سنة رسول الله وجحدها كفر، كما أن إنكار رسالته كفر .. ولميخل زمان من منكري رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فكذلك لميخل زمان من منكري سنته صلى الله عليه وسلم مع زعمهم بأنهم مسلمون مؤمنون برسالته، وهذا مثار للعجب، إذ كيفيكونون مؤمنين برسالته ثمينكرون سنته، ويرفضون اتباعه، ويصرون على عدم الأخذ عنه، والاحتكام إليه، والتسليم له ويقبلون على مخالفته في كل ما قال وفعل وأقر؟

ويقول مزروعة في كتابه: "لقد بدأت مسيرة إنكار السنة والشغب عليها على هيئة فردية في حالات نادرة لا اعتبار بها، وكان ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما إنكار السنة على هيئة مؤثرة ، فكان ذلك على أيدي طوائف لها ذكرها في التاريخ ؛ فقد بدأت على أيدي الخوارج والشيعة، ثم انضم إليهم طوائف من المتكلمين وبخاصة من المعتزلة الذين انتسب إليهم كثير من الزنادقة والفاسقين عن الملة ..

ويتابع : مسيرة الضلال هذه ظلت تنتقل عبر التاريخ بطوائفها المختلفة وعلى مستوى الأمة المسلمة شرقاً وغرباً، حتى كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث نبتت نابتة سوء بين المسلمين في بلاد الهند، بنشأة ما سمى بطائفة " القرآنيون " تلك الطائفة التي زعمت الاعتماد على القرآن وحده، وطرح السنة النبوية المطهرة، وأخذت تدعو إلى نحلتها بهمة ونشاط تحت رعاية الاستعمار الإنجليزي، ثم انتقلت من الهند إلى باكستان - بعد التقسيم - تحت مسمى "البرويزيين" .

الفصل السادس

محمد سعيد العشماوى :
لا خلود لأحكام الشريعة

اتخذ المفكر المصرى محمد سعيد العشماوى "٧٧ عامًا" .. موقفًا عدائياً ضد الإسلام، وزخرت كتاباته ومؤلفاته العديدة بالطعن فيه وفى أحكامه، كما طعن فى الصحابة الكرام ، وأنزلهم أسوأ المنازل .

العشماوى – الذى اعتلى منصة القضاء حتى ترأس محكمتى الجنايات وأمن الدولة العليا - وسخر من أحكام الشريعة الإسلامية، وأسقط حد الردة، وأباح الخمر والربا، وسبّ أبابكر الصديق - رضى الله عنه - وقال إنه اغتصب حقوق النبى الكريم، وسبّ عثمان وعليا _ رضى الله عنهما _ وردّد أكاذيب المستشرقين الغربيين عن الإسلام وادّعى أن الشريعة الإسلامية تأثرت بالقانون الرومانى وقال إن اليهود والنصارى من أهل الجنة.

نشأ العشماوى – كما يقول– نشأة صوفية، حيث كان يرتاد مسجد السيدة زينب ومسجد السيدة نفيسة ومسجد الحسين "فى القاهرة" ، ولكنه بدأ التأليف بعد تخرجه فى كلية الحقوق بـ "٤" سنوات بكتابات إنسانية عامة، مثل: "رسالة الوجود" العام ١٩٥٩ ، و"تاريخ الوجودية فى الفكر البشرى" العام ١٩٦١ ، و"ضمير العصر" العام ١٩٦٨ ، و"حصاد العقل" العام ١٩٧٣،

بدأت كتابات العشماوى الإسلامية بكتابه "أصول الشريعة" العام ١٩٨٠، ثم كتاب "الربا والفائدة فى الإسلام" ، ثم توالت كتبه الأخرى: "الإسلام السياسى" و"جوهر الإسلام" "الخلافةالإسلامية" و"الشريعة الإسلامية والقانون المصرى" "شؤون إسلامية" و"معالم الإسلام".

الدين والدولة

يعد العشماوى - كما ذكر سليمان الخراشى - من دعاة فصل الدين عن الدولة، وتحوى كتبه التشنيع على نظام الحكم الإسلامى، والتهجم على دعاة تطبيق الشريعة، ويزعم العشماوى أنه من المجتهدين قائلا: "أعتقد أنه يوجد الآن تياران إسلاميان وليس واحدا، التيار الأول: عقلى تنويرى، بدأ بمحمد عبده، ويسير فيه بعض المجتهدين من أمثالى....".

ويعدد الخراشى انحرافاته قائلا : من أعظم انحرافات العشماوى : زعمه نجاة اليهود والنصارى فى الآخرة وإن لم يؤمنوا بالإسلام، وعدم تكفيره لهم.

يقول العشماوى: "وكل من آمن بالله إيمانًا صحيحًا واستقام فى خلقه فهو عند الله "وبلفظ القرآن" مسلم لا خوفٌ عليه ولا حزن: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" ـ سورة البقرة ـ ٢:٦٢.

غير أن بعض الفقهاء يرون أن هذه الآية منسوخة بالآية: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" ويرتبون على ذلك ـوعلى الظن بأن الإسلام مقصور على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام- أن أى إيمان بالله لا يؤجر وأى عمل صالح لا يثاب إلا إذا كان فاعله من المؤمنين بدعوة النبى الكريم وبرسالته.

والواقع أن من يرى هذا الرأى إنما يراه وقد غاب عنه المعنى الحقيقى للإسلام، وخفيت عليه خطة الله فى البشر، واضطرب فى ذهنه معنى النسخ فى القرآن.

الخمر حلال

أسقط العشماوى حد شرب الخمر فى كتابه "الإسلام السياسى"، حيث كتب: "لا توجد أى عقوبة على شربها أو بيعها، لا فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية". ثم يقول مستدركا على الحكم الشرعى: "إن العقوبات تزيد من عدد

الجرائم، ولا تجتث الجريمة أصلا" !! "الإسلام السياسى - ص٥١" .

ورأى العشماوى: "أن تطبيق الشريعة يهدف إلى تفتيت وحدة الشعب وإلى إظهار الإسلام بصورة سيئة". ثم قال: "إن الشريعة تعنى الطريق والسبيل، ولا يلزم الأخذ بنصوصها؛ لأن مبنى الشريعة يقوم على الخلق والروحانيات، وللناس أن يطبقوا ما يشاؤون".. أى أن قوانين "الأحوال الشخصية" _وهى البقية الباقية من الأحكام الشرعية - تهضم حقوق المرأة، وأن الزواج عقد مدنى لا دينى، وأنه لابد من تقييد الزواج بواحدة.

كما أسقط _العشماوى_ حد الردة وقال إنه ليس من الإسلام ، وخصص العشماوى كتابه _الإسلام السياسى_ للدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، مدعيا _أن الرسول صلى الله عليه وسلم_ حينما ساس أمور الإسلام فى عهده إنما كان ذلك بالوحى. بخلاف ما سيأتى بعده من الحكومات التى ينبغى ألا تكون دينية!!

ومن دعاواه فى هذا الكتاب : أن تاريخ الإسلام تاريخ دموى قمعى! وأن الفقه الإسلامى يخلو من أى نظرية سياسية أو نظام سياسى، وأن الغالب على اعتناق الناس الآن "إسلام البداوة" ، لا "إسلام الحضارة"، إضافة إلى تهجمه المتكرر على دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية .

الصحابة

كما طعن العشماوى فى أبى بكر - رضى الله عنه - بأنه اغتصب حقوق النبى "صلى الله عليه وسلم" عندما طلب من المرتدين أداء الزكاة "التى يسميها العشماوى الإتاوة أو الجزية" ، وأن طلب الزكاة من المسلمين _فى زعم العشماوى- خاص بالنبى "صلى الله عليه وسلم" مقابل صلاته عليهم !!

ولمز وتهجم العشماوى لأجل هذا على أبى بكر _رضى الله عنه- متهما إياه بالديكتاتورية والتسلط ... بل قال: "وقد سوغ تصرف الخليفة الأول أبى بكر الصديق لكل خليفة وأى حاكم أن يستقل بتفسيره الخاص لآيات القرآن، ثم يفرضه بالقوة والعنف على المؤمنين، ويجعل من رأيه الشخصى حكما دينيا، ومن فهمه الفردى أمرا شرعيا" ! ثم قال : "لقد قنن الخليفة الأول بحروب الصدقة إشهار سيوف المسلمين على المسلمين".

ولم يقتصر العشماوى على الطعن فى أبى بكر _رضى الله عنه- بل تعداه إلى

الطعن فى عثمان وعلى ـرضى الله عنهما-، حيث قال: " ولم يقتصر الفساد على عهد عثمان وعلى ـ الأمويين وحدهم، بل حدث كذلك فى عهد على بن أبى طالب. وقال: "وفى عهد عثمان بن عفان حدث فساد كثير".

وادعى أن الصحابة ـرضى الله عنهم- كان هدفهم الملك والرياسة، كما ذمّ معاوية ـرضى الله عنه- ذما شديدا.

أحكام مؤقتة

يعتقد العشماوى أن أحكام الشريعة فى المعاملات مؤقتة، لا استمرار لها ولا خلود بقوله: "إن المؤبد فى أحكام القرآن ما تعلق منها بالعبادات، أما أحكام المعاملات فهى وقتية ، وأباح الربا فى كتابه "الربا والفائدة فى الإسلام"،

ونقد الكاتب أحمد أبوعامر آراء العشماوى وقال : "من خلال اطلاعى على معظم ما كتبه العشماوى تبين لى أن سمات فكره ما يلى:

- نشأته الصوفية لها دور فى ترسيخ التوجه العلمانى الذى تنامى بدراساته وتخصصه القانونى.
- ثقافته الغربية واطلاعه على تراثها ولا سيما دور الكنيسة وتسلطها جعله يرى الإسلام كالنصرانية، وهذا وهم وخطأ .
- تبنى الفكر العلمانى والترويج له حتى صار من أبرز رموزه ممن يحاولون هدم الإسلام من الداخل.
- يتظاهر بالفقه فى العلوم الشرعية ويدّعى أنه عالم مجتهد، وهو فى ذلك مدّع، والدليل مصادمة آرائه للشرع وأدلته.
- يُهاجم مخالفيه فى الفكر بأسلوب هابط ولا يتورّع عن الطعن فى الصحابة والعلماء واتهامهم بالجهل والغباء والخداع.
- عدم موضوعيته وبعده عن المنهج العلمى فى دراسته، إذ إن جُلّ آرائه بعيدة عن الصواب ومخالفة للصحيح وابتداع لا يُعضدّه دليل مُعتبر.
- يستغل معرفته وتجاريه فى القضاء والمحاكم وما يقابله من صور اجتماعية للمسلمين ويزعم أنها تمثل الإسلام، ويدعو إلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ويتهم الدعاة لها بالإرهاب وأنهم دعاة فتنة.
- يتبنى الطروحات الاستشراقية ضد الإسلام وشريعته ويُلبسها ثوبا محليًا، ومن أخطر مزاعمه المنقولة عن غيره أن الشريعة الإسلامية متأثرة بالقانون

الرومانى، وهذا كذب صريح وادعاء باطل ناقشه العلماء المسلمون بل بعض المستشرقين وبينوا بطلانه .

وتوصل أبوعامر إلى أن العشماوى أنكر كمال الإسلام وينكر عالميته وبقاءه إلى قيام الساعة

الشهرة والثراء

ويعتبر الأكاديمى المصرى الدكتور جابر قميحة المستشار العشماوى مع حسين أمين وفرج فودة "قتل فى العام ١٩٩٢ " من أشهر رؤوس العلمانية فى مصر والبلاد العربية، وما كتبه هؤلاء الثلاثة - كما يقول - يُعدُّ عدوانا - بكل معنى الكلمة - على قيم الإسلام ونظمه، ومبادئه، حتى ما جاء منه فى نصوص إلهية قطعية الثبوت والدلالة، ولا تحتمل التأويل والخروج بها عن مسارها، فعلوا ذلك باسم "التنوير" وإنقاذ العقل المسلم من ظلمات الرجعية والتخلف.

وأضاف : أحدهم" العشماوى" سافر - منذ عدة سنوات - فى رحلة إلى الولايات المتحدة، وعاد منها ليكتب عدة مقالات فى مجلة قومية أسبوعية يخلع فيها على "الشباب المسلم العربى" من المثالب والنقائص والمآثم ما لا يصدق إلا على الكفرة الفجرة، والجهلة المتخلفين زعمه بأنهم يحرمون الجلوس على المقاعد أثناء المحاضرات بدعوى أن النبى "صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يفترشون الأرض جلوسا .

وأكمل: فات صاحبنا أن هؤلاء الشباب كانوا يستخدمون مكبرات الصوت فى المحاضرات، ويوزعون هذه المحاضرات مطبوعة، ويستقلون السيارات والطائرات.. فهل وجدت هذه الآليات أيام الرسول "صلى الله عليه وسلم"، واستخدمها هو وأصحابه، كما يرفض الحدود اشرعية، ويطالب بالتسوية بين الأنثى والذكر فى الميراث.

وأحدهم ـ "العشماوى" ـ يزعم أن حروب الردة "وهو يسميها حروب الصدقة" كانت حروبًا عدوانية، وأن نظام الخلافة نظام جاهلى فاسد جاء للسطو والسيطرة، والعدوان على حقوق الإنسان، وأنه أضر بالإسلام حين ربط العقيدة بالسياسة، والشريعة بنظام الحكم.

وأحدهم يعتقد انه مبعوث العناية الإلهية "لضرب الرجعية والأصولية المتعفنة وإنقاذ الإسلام من المتخلفين والأصوليين ولصوص توظيف الأموال ـ على حد قوله.

ويكتب العشماوى عن "زواج المتعة" مستعينا بآراء تائهة شاذة، ليوهم الجهلة والعامة بأن لهذا "الزواج" مكانه الثابت فى الإسلام.

وغير ذلك كثير، وكلها أباطيل وأضاليل، لا يُقصد بها لا تنوير، ولا تعمير، ولا رقى وتطوير – كما يزعمون – إنما الهدف هو الدنيا والمال والأضواء والشهرة والمنافع الشخصية، وليسقط العقل والخلق والضمير.

وقال قميحة: مثل هؤلاء يكتبون – لا من منطلق الإيمان بما يكتبون، ولا من منطلق الحرص على مصلحة الوطن بالتنوير، والتوعية السياسية والاجتماعية والعلمية كما يزعمون، ولكنهم يكتبون من أجل المال، وتحقيق الثراء.. والآلية المثلى لتحقيق هذا الهدف هى مصادرة كتبهم، ومن ثم زيادة نسبة التوزيع بإقبال الناس على شراء الكتب حبًا فى كشف سبب أو أسباب المصادرة، فكل ممنوع مطلوب، وكل محجوب مرغوب، كما يقول المثل العربى. وتصديهم وهجومهم على المرجعية الدينية، وقيمنا الموروثة لم يعد من قبيل "خالف تعرف" ولكن: خالف ودمر حتى تحصد أقصى ما تقدر عليه من غنى فاحش.

وتابع : نعم ولايزال العار قائمًا يشد بعضه بعضًا، فعتاة العلمانيين المتطرفين أدعياء التنور والتنوير والعبقرية يتربعون على قمم الفكر والإعلام والأدب ، وأصبح منهجهم وطابعهم الاستهتار بالدين والاستهانة بالقيم ، ولا هم لهم إلا المال والشهرة والأضواء ، ولو كان ذلك على حساب الدين والمجتمع وكل القيم والمثل العليا، قاصدًا بذلك أن مثل هؤلاء هم الذين يحصلون على الجوائز والأوسمة فى بلادهم، أو من الغرب.

مؤلفات العشماوى

تعددت مؤلفات العشماوى، ومن بينها: رسالة الوجود - تاريخ الوجودية فى الفكر البشرى - ضمير العصر - حصاد العقل - جوهر الإسلام - روح العدالة - الإسلام السياسى - الربا والفائدة فى الإسلام - الشريعة الإسلامية والقانون المصرى - معالم الإسلام - الخلافة الإسلامية. وحقيقة الحجاب وحجية الحديث.

ومن سلسلة مؤلفاته: حياة الإنسان - أصول الشريعة - جوامع الفكر - روح الدين- - على منصة القضاء - من وحى القلم - العقل فى الإسلام - مصر والحملة الفرنسية - ديوان الأخلاق - إسلاميات وإسرائيليات - الصراع الحضارى بين العرب وإسرائيل.

الفصل السابع

جمال البنا
مُنكر السنة

لا يعد الكاتب المصري جمال البنا .. مجرد شخصية مثيرة للجدل بسبب آرائه التي يضرب بها في صميم الإسلام، بل إن الكثيرين يعتبرونه مروجا للتخاريف والأكاذيب.

وجمال البنا "٩٠ عاما" هو شقيق مؤسس جماعة الإخوان في مصر حسن البنا ، ولا يعترف الأزهريون بأفكاره ، ولا يقرونه على شيء مما يعتبره اجتهادات ، وتتعرض كتبه للمصادرة ، بسبب تصادمها مع أبسط الثوابت الدينية.

وبلغ الشيخ العجوز حدا من الشطط الفكري حتى إنه أنكر السنة النبوية وطعن في صحيحي البخاري ومسلم وأسقط حد الردة وأباح التدخين في نهار رمضان وأجاز القبلات بين الشباب ، ولا يعترف بفرضية الحجاب زاعما أن القرآن الكريم لم يأمر به ، ويعتبر الاختلاط ضروريا ، أما الفصل بين الجنسين فـ (وحشية بغيضة)، ولا يبدي غضاضة في أن تؤم المرأة الرجال في الصلاة ، ووصف معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم (الوهمية)، وأسقط فريضة الجهاد.

نزوات فكرية

يزعم البنا أن الإسلام.. لم يفرض الحجاب على النساء المسلمات، فيرى أن الحجاب فُرض على الإسلام ولم يفرضه الإسلام ، فشعر المرأة ليس عورة، بل يمكنها أن تؤدي صلاتها بمفردها وهي كاشفة للشعر.

وشدد البنا على أنه ليس في القرآن الكريم أو السنة ما يأمر بالحجاب مطلقًا، وقال إن الاختلاط ضروري، فهو من الطبيعة والفطرة؛ لأن الفصل بين الجنسين (عملية وحشية)

ويرى أن المرأة حرة في اختيار زوجها مهما كان عمرها ما دامت تتصرف في أموالها وأشيائها، فكيف لا تتصرف في عقد الزوجية الذي يقرر مصير حياتها كله؟

و يقول: مسألة الشهود في الزواج ليست مطلوبة تمامًا فالغرض منها التوثيق والتأكيد على أن العملية جادة – حرصا على الحقوق والواجبات في حالة الطلاق أو الموت كالميراث مثلا أو نسبة الأولاد والشهود لتثبيت ذلك ؛مستندًا إلى أنه لم يكن في العصور الإسلامية الأولى لا توثيق ولا شهود.

ومن الزواج إلى الطلاق .. يرى البنا.. أنه لا يجوز مطلقًا للرجل أن يُطلق منفردا، لأنه تزوج بصفة رضائية، ولذلك تقتضي صحة الطلاق رضا الاثنين واتفاقهما على الانفصال، ولكن أن يقوم بتخريب بيتها وتدمير حياتها ويحرمها من أولادها فهذا" منتهى الإجرام والظلم للآخر" و من ثم مهما حلف الزوج بالطلاق من الصباح حتى المساء فهذا لا يعد طلاقا، الطلاق يتم باتفاق تتقبله المرأة.

إمامة المرأة

وأجاز البنا أن تؤم المرأة الرجال في الصلاة .. إذا كانت أكثر علمًا بالقرآن، ووضع في ذلك كتابا اسمه (جواز إمامة المرأة الرجال حيث يرى أن الإمامة عملية تحتاج إلى مؤهل وليست حقًا فطريًا) وقد وضع الرسول الكريم هذا المؤهل وهو العلم بالقرآن، فجعل صبيا يؤم قومه بمن فيهم الشيوخ لأنه كان أعلمهم بالقرآن، وجعل عبدا يؤم الصحابة كلهم وكان من بينهم أبو بكر وعمر.

فإذا كانت المرأة أعلم ممن تؤمهم فهي أحق بالإمامة، ولكنها تغطي شعرها، فهي هنا في صلاة جماعة، وبالتالي فإن الأمر بالنسبة لغطاء الشعر يختلف فيما

لوكانت تصلي بمفردها، فصلاة الجماعة تحتاج إلى الضوابط وبالطبع لا توجد من ستصلي اماما بالناس وشعرها مكشوف.

وقال: قابلت في قطر الدكتورة آمنة ودود التي فجّرت موضوع قيام المرأة بإمامة المصلين، وهي سيدة محتشمة جدا وتغطي رأسها وعلى علم، وأعطيتها نسخا من كتابي حول هذه القضية!!

أسقط حدة الردة

يعتقد البنا أن الخروج من الإسلام إلى ديانة أخرى لا يُعدُّ كفرا، وشرح ذلك قائلا: «في واقع الحال.. الأديان السماوية الثلاثة دين واحد، وهذا هو الإسلام في النهاية الذي يضم في تعاليمه الدينين السابقين - اليهودية والمسيحية - ويعترف بأنبيائهما، ولا يجب أن نطلق لفظ" كافر" على من ينتقل من دين إلى آخر من هذه الأديان، لأنه لا يزال في مجال الإيمان بالله، بشرط أن يظل مؤمنا بأن الدين الآخر سماوي ونبيُّه مُرسل من الله وهو ما يشتمل عليه الإسلام».

وقال في بحث مطول : ليس في الكتب المقدسة لليهودية والمسيحية نصّ يعترض على الإسلام، الذي لم يكن قد ظهر بعد، وأن الإسلام يختلف عنهما بأنه لا يعترف بمؤسسة دينية تقف بين الإنسان وربه، وتكون لها سلطة التحليل والتحريم وتقوم بدور المحامي عن الإسلام، بل إن القرآن شن حملة شعواء على رجال الدين اليهود والمسيحيين واتهمهم بتحريف الكلم عن مواضعه ".

واستعان البنا بـ١١ دليلا على ذلك. منها أن الله استبعد إيمان الناس جميعا بالإسلام، واستنكر إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين.

وحول تعبير «الكافرون"في السورة القرآنية التي تحمل نفس الاسم قال: «يعني الذين لا يعترفون بالإسلام، ولم يكن القرآن ليعدد هؤلاء من مسيحيين أو يهود أو صابئة أو بوذيين، فالمسيحيون بالنسبة للمسلمين كفار. لأنهم لا يؤمنون بالإسلام، والمسلمون بالنسبة للمسيحيين كفار لأنهم لا يؤمنون بالمسيحية».

واستطرد بأن سورة «الكافرون"قنّنت وأيدت التعددية الدينية، وأن «الإسلام يؤمن بالأنبياء لأنه يرى أنهم بلغوا رسالة الدين الحقة، ولكن هذه الرسالة تعرضت للتحريف على أيدي المؤسسة الدينية ومن خلال الترجمات».

وأضاف: الإسلام نصَّ على تعدد الشرائع ويحرص على حرية الفكر والاعتقاد،

وأن «القرآن ذكر الردة مرارًا ولم يُرتّب عليها عقوبة دنيوية، كما أنه ارتدّ في حياة الرسول كثيرون ، ولم يعاقبهم، إلا إذا اقترنت الردة بقتل وانضمام إلى الأعداء».

وأشار إلى أن ما يرتبه الفقهاء من عقوبات على الردة، أمر من «المؤسسة الدينية"التي حاولوا غرسها في الإسلام.

واستطرد : "الدين اللاحق لا ينسخ الدين السابق، فالإسلام لم ينسخ المسيحية، والمسيحية لم تنسخ اليهودية، ولم يأت دين ينسخ الإسلام، ولهذا فإن من الممكن للأديان الثلاثة «وغيرها أيضًا"أن تتعايش جنبا إلى جنب، وفي سلام وتكامل».

وتناول في هذا الصدد مبادئ قرآنية عدة منها: «الاعتراف بالتوراة والإنجيل ككتب منزلة، وكان تحفظ القرآن الوحيد ما تثبته الوقائع التاريخية والقرائن عن وجود اختلافات، نتيجة لعدم توثيقها عند نزولها إلا بعد ذلك بسنوات عدة سمحت بالخطأ أو النسيان " ..

وبشأن القول: إن في القرآن بعض آيات توحي أن الإسلام هو الدين الوحيد، رد جمال البنا: «هذا يعود إلى أن الإسلام يعتبر أن خصيصة الأديان الرئيسية هي إسلام الوجه والقلب لله، وهو يرى أن هذا تحقق في اليهودية والمسيحية وفي أنبيائها، ومن ثم فإنه يري أنهم جميعا مسلمون، وأن إبراهيم وإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ كلهم مسلمون، وهذا فيمايرى هو ما أرادته الآية «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ».

وأضاف: إن آية «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ"قصد بها مجموعة ارتدت عن الإسلام وكفروا بعد إيمانهم، ومن الطبيعي أن يكون رد الإسلام على من ارتد عنه الا «يُقْبَلَ مِنْهُ"مادام قد ارتد وابتغي آخرًا، ولا يتأتي أن يكون رفضًا لغير الإسلام من ناحية المبدأ، لأن الآيات التي توجب التسليم بكل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل قد سبقتها.

إسلامي أم علماني

يتساءل الكاتب خباب الحمد ساخراً عن السبب وراء وصف البنا بـ «المفكر الإسلامي"وتعرض بالنقد والتحليل لآراء الشيخ العجوز في مقالة مطولة جاء فيها:

حينما تجد أهل الهوى وضعاف الفهم يتحدّثون في ديننا الإسلامي ، ويحرّفونه بقالب التجديد، وينقضونه باسم النقد، وينسفون منهج السلف الصالح في

التعامل مع النصوص بحجّة إعادة قراءة النص وما إلى ذلك من شبهات وأهواء، فلن تستطيع أن تجد لهؤلاء عذرا.

ومن بين هؤلاء المحرّفين لديننا ومبادئنا وثوابتنا «جمال البنا» شقيق الشيخ حسن البنّا - رحمه الله - فيستغل أخوته للشيخ حسن ليظهر في وسائل الإعلام، ويطلق عليه "المفكّر الإسلامي". والمراقب لطروحات «جمال البنا» أو المتتبع لها سيجد أنه يخرج بين فينة وأخرى بآراء فكريّة عجيبة غريبة، يبدي من خلالها مخبآت الأفكار المكنوزة في عقليته.

ومن أحسن من رأيته قد كتب عنها وفضح صاحبها، الدكتور محمد زنجير في كتابه «اتجاهات تجديدية متطرفة»، والأستاذ محمد إبراهيم مبروك، الذى كتب أربع حلقات عنونها بـ: «جمال البنّا مفكّر إسلامي أم علماني؟»، والأستاذ عقيل الشمّري في بحثه المتخصّص «جمال البنا ومنهجه في التفسير» و المتابع لفكر جمال البنّا، سيدرك أنّه ينطلق برؤية لا منهجيّة لها، وأنّ جملة كثيرة من أعماله قائمة على الأوهام الفكريّة.

وقد استقرّت لديّ هذه النتيجة بعد متابعتي لفكره وكتاباته، ووجدت أنّ أفكاره قائمة على مشكلات عدّة خطيرة، منها:

- هدم السنّة بحجّة أنّ قلّة قليلة من أحاديثها صحيحة، والبقية منكرة وشاذة وموضوعة.

- التحايل على الشريعة وأدلتها من نصوص الوحي، وتحكيمه الكامل لهواه فحسب، باسم المصلحة والضرورة وعموم البلوى وغير ذلك.

- نقض الشريعة بحجّة النقد البنّاء.

- انتهاجه وانتهازه لزلّات بعض العلماء، وترويجها بين عوام الناس، ونشرها في مؤلفاته وكأنّها أقوال لا مغاير لها ولا مخالف.

- رفضه قواعد المحدّثين، وقوله بعدم عدالة الصحابة .

ويرفض البنا قواعد المحدثين في الجرح والتعديل التي من خلالها يثبت الحديث، وعلى رأسها «عدالة الصحابة" حيث ينفي وجوب تعديلهم - إلزاما - كما استقر المنهج عند أهل السنة والجماعة، ويرى أنهم قد يكذبون في الحديث، وإذا لم يكذبوا فهم ينسون، والنسيان أخو الكذب، وكثرة رواية الصحابي للحديث عنده تجرحه؛ إذ إن أفاضل الصحابة وكبارهم عنده أقلهم رواية للحديث،

والعكس بالعكس.

يُضعّف البنا جمعا من الأحاديث التي تواترت صحتها عن علماء الحديث النقاد والمدققين لأنه يراها تخالف بالقرآن فهو يرى أنَّ كل كتب السنة تعج بالموضوعات، بما فيها صحيحا البخاري ومسلم، ولهذا ألف كتابا في نقدهما سماه _تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم_ .

لقد وضَّح علماء الإسلام أنه لا يتعارض حديث مع آية ، وكان لعلماء المسلمين طرائق منهجيَّة في التعامل مع النصوص القرآنية والنبويَّة التي قد يُشكِلُ ظاهرها، أو يتوهم بعض الناس تعارض بعضها مع بعضها الآخر، وإذا كان التعارض يدور في عقل البنا فليس له أن يضعِّف أحاديث اتّفق العلماء على تصحيحها أو تحسينها وبيَّنوا وجه الدلالة منها ، بل عليه أن يتّهم عقله، والذي لم يستطع أن يجمع بين تلك الأحاديث والآيات التي ظاهرها التعارض لديه ، وعليه أن يرجع إلى كتب العلماء ليتعلَّم كيف يتعامل مع النصوص التي ظاهرها التعارض.

صريح القرآن

يدعو «البنا" إلى الاحتكام بما في صحيح السنّة إلى الصريح من القرآن، وهي المرجعية الإسلامية الملزمة عنده فقط،ولنتأمَّل قوله عن المرجعيَّة الملزمة لنا بأنَّها: «القرآن الكريم والصحيح المنضبط من السنة النبوية أما أحكام الفقهاء وأئمة المذاهب والصحابة.. إلخ.. فلا تعد ملزمة.

وإجابة على ذلك فإنَّ معنى هذا أنَّ أي حديث لم يأتِ عليه دليل من كتاب الله فليضرب به عُرض الحائط، ولا يستدلُّ به، وكلام البنّا في هذا المجال يشبه قول القرآنيين الذين نسبوا أنفسهم إلى القرآن.

وقالوا: لا نأخذ إلا به وأنكروا السنة، وقد كفّرهم الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية في دعواهم إلى الأخذ بكتاب الله وترك الاحتجاج بكتب السنّة. والبنا - عبر كلامه هذا - يبطل الآيات والأحاديث التي جاءت بالأمر بالأخذ بالأحاديث؛ لأنَّها وحي يوحى لرسول الله «صلى الله عليه وسلم».

وقال تعالى «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا". الحشر:٧، ومن الآيات التي تدلُّ على أنّ السنة وحي قول الله - عزَّ وجل - «لقد من الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين - آل عمران: ١٦٤.

واخرج الإمام أحمد وابو داود بسند صحيح عن المقدام بن معدي كرب: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ! ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» يقول الإمام الشافعي: «فذكر الكتاب - وهو القرآن - وذكر الحكمة فسمعت من أرضي من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة:سنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم».

تغليبه لـ " الهوى"

يرى «جمال البنا"أنَّه لا مانع أن يكون العقل حاكما على القضايا الدينيَّة والشرعيَّة، وكان هذا واضحا من خلال مناظرته مع الأستاذ محمد إبراهيم مبروك في قناة الجزيرة ببرنامج «الاتجاه المعاكس»، وكذلك في عدد من كتاباته.

فهو يرى إعمال العقل في كل ما يتعلق بالدين والدنيا والإيمان بالقيم،حيث يقول:«إنَّ كل ما يتعلق بالشريعة من علاقات يفترض أن تتفق مع العقل أولا ولا يكون الوحي إلا مؤكدا ومكملا له، أي إعمال العقل في فهم النص، وهذا يجعل العقلانيَّة هي المرجعيَّة الإسلاميَّة فيما يتعلَّق بالشريعة».

ومن هنا.. فإنَّ هذا الأمر قد أثر تأثيرًا بالغًا على منهجه في التفسير بحيث إنه لا يعتد بتفسير أهل العلم، ولا يقيد القرآن بالسنة، بل يكون العقل - أي الهوى - هو الحاكم على نصوص الكتاب والسنَّة.

كما يرى أنَّ المسائل التي يحصل فيها خلاف بين الفقهاء والعلماء؛ فإنَّ أفضل حل أن يكون الرجوع ليس لنصوص الكتاب والسنَّة بالفهم الصحيح، بل بالرجوع إلى العقل فحسب إذ يقول عن القرآن والسنة: «وأقوى منهما جميعا الرجوع إلى العقل وتحكيم المنطق السليم وطبيعة الشريعة ومقاصدها ،حتى وإن كان الموضوع عباديا، لأنه مادام بعيدا عن ماهية الله تعالى وعالم السمعيات فإنه يخضع لحكم العقل والنظر، وما يهدي إليه المنطق السليم والقول بذلك يحرم الناس من استخدام عقولهم، ويعطل ملكات التفكير ويجعلهم أسرى للروايات».

والجواب على دعواه أن نقول:من المقطوع به أنَّ للعقل دورًا في بلورة الأفكار، إلاَّ

أنَّ النص القرآني أو النبوي حاكم العقل، فالحكم يكون مقدَّما لشريعة الإسلام على عقل الإنسان ، وليس العكس، ثمَّ لو تحاكمنا للعقل فلأي عقل نتحاكم ونحتكم؟ إلى عقلك يا أستاذ «جمال"أم إلى عقل مَنْ ؟

الفصل الثامن

رشاد خليفة
خاتم المرسلين !!

نحو (٢٠) عامًا كاملة.. مرت على اغتيال الدكتور رشاد خليفة في مسجد «توسان» في الولايات المتحدة الأمريكية الذي اعتبره العلماء مرتدا عن الإسلام، منذ أن زعم أنه رسول الميثاق الذي تتحدث عنه الآية ٨١ من سورة آل عمران ، وأنكر السنة النبوية، مكتفيًا بالقرآن الكريم مصدرًا واحدًا للتشريع.

ورشاد خليفة.. صاحب المعجزة العددية في القرآن الكريم - كما ادعى - التي بنيت على الرقم ١٩ ، والتي قوبلت بالرفض والاستنكار من جميع علماء المسلمين.

ولد خليفة - الذي ادعى أن صلاة المسلمين هي صلاة المشركين - في إحدى قرى محافظة الغربية "وسط دلتا مصر" في ١٩ نوفمبر العام ١٩٣٥ ، وهاجر إلى الولايات المتحدة في العام ١٩٥٩ للدراسة ، وتخصص في مجال الكيمياء الحيوية ، وتجنس بالجنسية الأمريكية ، واغتيل في مسجد «توسان» بولاية شيكاغو في ٣١ يناير العام ١٩٩٠ بعد إصدار فتاوى بإهدار دمه .

معجزة الرقم "١٩"

فى العام ١٩٧٤ استخرج رشاد علاقة بين الرقم «١٩» والقرآن الكريم بشكل عام، وكلماته وحروفه بشكل خاص وقام بتأليف العديد من الكتب، فيما يتعلق بالرقم ١٩ والقرآن الكريم. وقال: إن هناك فى القرآن آيتين: ١٢٨-١٢٩ : ٩ وقال إنهما آيتان شيطانيتان أضيفتا للقرآن من أجل تمجيد محمد عن طريق نعته بصفة تذكر فى القرآن فقط لوصف الله، ألا وهى الرحيم، وقال: إن تلك الآيتين مدسوستان على القرآن الكريم وأثبت ذلك من خلال الرقم ١٩.

زعم رشاد خليفة أنّ الله قد أظهره على سرّ العدد «١٩» فى القرآن الكريم، ويعتبر ذلك دليلاً على أنّ الله قد اختاره رسولاً.

يقول رشاد فى رسالته إلى الرؤساء والملوك: «والذين لا يستحقّون رسالة الله ممنوعون من حق الوصول إلى القرآن»، أى أنه يعتبر الوصول إلى بعض أسرار القرآن الكريم دليلاً على الاختيار الربّانى.

يستشهد رشاد بالقرآن الكريم ليدلل على منطقه هذا: «.. ومنهم من يستمع إليك، وجعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه، وفى آذانهم وقراً، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها..» (الأنعام: ٢٥). من قال إنّ الكفار لم يفهموا معانى القرآن الكريم؟! بل هو بلسان عربى مبين، ولكنهم لم يفقهوه: «فهم لا يفقهون». هم إذن لم يفهموا الفهم المؤدى إلى الاعتبار والاتعاظ والالتزام بشريعة الله، وذلك نتيجة انحرافهم، فهل معرفة أنّ عدد سور القرآن الكريم هو ١١٤ سورة، ومعرفة أنّ هذا العدد هو من مضاعفات العدد ١٩، هو الفقه؟! يبدو أنّه لم يفقه قوله تعالى: «وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها»؟! فشتّان بين من رأى ومن فَقِه.

ويستشهد رشاد بآية أخرى:«وإذا قرأتَ القرآنَ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً، وجعلنا على قلوبهم أكِنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً» (الإسراء:٤٥،٤٦). واضح أنّه يستدل بهذه الآية على طريقة استدلاله بالآية السابقة، وكأنّه لم يفطن إلى أنّ مثل هذا الاستدلال يعنى أنّ كل مستشرق درس الإسلام وتبحّر فى علومه واستخرج من درره، لا بدّ أن يكون مسلماً مهتدياً، وهذا يعنى أيضاً أنّ شخصاً مثل الوليد بن المغيرة يُعتبر مهتدياً أيضاً؛ فقد وصف القرآن الكريم وصفاً جميلاً، وعبّر عن تذوّقٍ رفيع لإعجازه، وعلى الرغم من ذلك، فقد قال القرآن الكريم فى حقّهِ:« ثم عبسَ وبسر ، ثمّ أدبر واستكبر ، فقال

إن هذا إلا سحرٌ يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر» (المدثر: ٢٢-٣٠). إنّ هذه الآيات من سورة المدّثر، والتى ورد فيها العدد «١٩»، تتحدث عن موقف الوليد بن المغيرة، الذى لم يُغن عنه امتداحه للقرآن الكريم شيئاً. ولو قرأ رشاد خليفة الآية «٣١» من سورة المدّثر، والتى تُبيّن الحكمة من ذكر العدد ١٩، لوجد: «... كذلك يُضلّ اللهُ من يشاء، ويهدى من يشاء». فلا المعرفة هدت، ولا المدح عصم.

رسالة رشاد خليفة

يقول رشاد خليفة فى رسالة عنوانها «رسالة مرسلة إلى الرؤساء والملوك فى العالم الإسلامى»: جذر الكلمة رشد مذكور فى القرآن الكريم «١٩» مرة، وبالرجوع إلى صفحة ٣٢٠ من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقى، نجد أنّ رشد ومشتقاتها وردت فى القرآن الكريم «١٩» مرة. وهذا صحيح.

ولكن لو رجع رشاد خليفة إلى صفحة ٦٠٥ من المعجم نفسه، لوجد أنّ كلمة كَفَرَ قد وردت فى القرآن الكريم ١٩ مرة. ولو رجع إلى صفحة ٦١٢ من المعجم نفسه، لوجد أنّ كلمة الكفّار قد وردت فى القرآن الكريم ١٩ مرة أيضاً. ولو رجع إلى صفحة ٧١٦ لوجد أنّ كلمة المنافقين قد وردت فى القرآن ١٩مرة، ولوجد أنّ مشتقات نفق هى ٣٨ أى «١٩_2».

استكمالاً للصورة نقوم بعرض بعض أخطاء رشاد خليفة فى رسالته: «رسالة مرسلة إلى الرؤساء والملوك فى العالم الإسلامى». مع ملاحظة أنّ الرسالة لا تتجاوز الوريقات القليلة:

يقول رشاد: إنّ مجموع الآيات فى القرآن الكريم هو ٦٣٤٦ أى «١٩_334».
وهذا القول يحتاج إلى تحقيق، إذ إنّ عدد آيات القرآن الكريم على طريقة الكوفيين، كما جاء فى كتاب ناظمة الزهر، للإمام الشاطبى، هو ٦٢٣٦ آية. والفارق كما نلاحظ كبير. وإذا أضفنا ١١٢ بسملة يكون المجموع هو ٦٣٤٨، وهذا يعنى أنّه اختار أن يكون عدد آيات القرآن الكريم ٦٢٣٤ آية، والسر فى هذا الاختيار أنّه يعتقد بأنّ عدد آيات سورة التوبة هو ١٢٧ وليس ١٢٩، وهذا يعنى أنّه يَطعنُ فى الصحابة، رضوان الله عليهم، وليس هذا بعجيب، فقد كانت هذه

السقطة من مقدمات الانحراف قبل أن يُعلن أنّه رسولٌ من الله!

يقول إن كلمة قرآن ذُكِرت فى القرآن الكريم ٥٧ مرة، أى (١٩‏_3)، ويقول إنّها وردت فى ٣٨ سورة، أى (١٩‏_2). ويقول: عندما نجمع أرقام الآيات التى وردت فيها كلمة قرآن يكون المجموع هو ٢٦٦٠ أى (١٩‏_140).

وهذا كلّه خطأ، وكل ما بُنى عليه يكون خطأً أيضاً؛ فلفظة القرآن، بضم النون وفتحها وكسرها، وردت فى القرآن الكريم ٥٨ مرة، وعند حذف الآية ١٥ من سورة يونس: «قال الذين لا يرجون لقاءَنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله»، على اعتبار أنّهم يطلبون قرآناً غير هذا القرآن المنزّل، يصبح المجموع ٥٧ كلمة. وإذا أحصينا كلمة قرآن منوّنة بتنوين الفتح، مثل: «إنّا أنزلناهُ قرآناً عربياً»، نكتشف أنّ كلامه غير صحيح أيضاً؛ فلماذا فرّق بين كلمة قرآن بضم النون وفتحها وكسرها، وبين كلمة قرآناً بتنوين الفتح؟! وقد نسعفه بجواب فنقول: وردت كلمة قرآن وفق هذا الرسم ٥٧ مرة، وذلك بعد حذف الكلمة التى وردت فى الآية ١٥ من سورة يونس، كما أشرنا.

أمّا قوله إنّ الـ «٥٧» كلمة قرآن قد وردت فى ٣٨ سورة، فهذا غير صحيح؛ فلو رجعنا إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لوجدنا أنّ عدد السّور التى وردت فيها الـ ٥٧ كلمة قرآن هو ٣٤ وليس ٣٨ كما زعم.

أمّا قولهُ إنّ مجموع أرقام الآيات التى وردت فيها كلمة القرآن هو٢٦٦٠ فغير صحيح أيضاً؛ لأنّ المجموع هو ٢٨٤٧. فكيف بنا لو أحصينا البسملات فى عدد آيات السور، كما فعل عند إحصاء مجموعِ آيات القرآن الكريم؟!

يقول إنّ كلمة واحد، عندما تكون صفةً لله تعالى، تكررت فى القرآن ١٩ مرة. وهذا غير صحيح، لأنّ كلمة واحد، بتنوين الضم والكسر، وردت ١٩ مرة، ووردت كلمة «واحداً»، بتنوين الفتح، ثلاث مرات. وعليه يكون المجموع ٢٢ تكراراً. ويمكنه أن يقول إنّ كلمة واحد، تكررت صفة لله تعالى ١٩ مرّة.

يقول رشاد: «عند جمع أرقام السّور، وإضافة أرقام الآيات التى ذُكرت فيها كلمة رشد وخليفة نجد أنّ المجموع = ١٤٦٣ أى ١٩_ ٧٧ »، وهذا غير صحيح .

يقول رشاد: مجموع أرقام السُّور والآيات المذكور فيها رشد هو (١٩‏_72)+١= ١٣٦٩». وهذا صحيح، مع ملاحظة أنّ هذا العدد يزيد على مضاعفات العدد ١٩، هذا إن لم نجمع أرقام السُّور المكررة، وإلاّ فإنّ المجموع عندها يزيد بمقدار ٢٣٤.

أرقام السور والآيات

ويقول: «مجموع أرقام السُّور والآيات التى وردت فيها كلمة خليفة هو: (519_)-1=94. وهذا أيضاً غير صحيح؛ حيث إن كلمة خليفة وردت فى القرآن الكريم مرتين فقط: فى الآية 30 من السورة رقم 2، وفى الآية 26 من السُّورة رقم 38، وعليه يكون المجموع: (30+2+26+38) =96 وليس 94 كما يقول رشاد خليفة.

ويقودنا هذا إلى سؤال متكرر: هل الخطأ عند رشاد يأتى سهواً، أم ماذا؟! فإن قال: بل رجعتُ إلى المصاحف التى تعتبر البسملة آية، نقول: عندها يصبح العدد 98, وإن قال: بل أخطأتُ فى جمع الأرقام، نقول: فأىّ رسولٍ أنت، وأى دليل جئتَ به لتثبت رسالتك؟!.

يقول رشاد فى رسالته للرؤساء والملوك: «إنّ أهم ما أمر به القرآن هو: اعبد الله وحده. وهذا ورد فى: (7: 70، 39: 45، 40: 12 و 84، 60: 4) ومجموع أرقام هذه السّور والآيات هو 361 أى 19×19_. انظر المعجم المفهرس، تحت وحده صفحة 745». نظرنا فى صفحة 745، كما طلب رشاد، فوجدناه قد أسقط ذكر الآية 46 من سورة الإسراء،التى ترتيبها فى المصحف هو 17، أى أنه أسقط مجموع: 46+17. واللافت للنظر أنّه أسقط آية يستشهد بمعناها على رسالته فى مواضع أخرى، والآية هى: «وجعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهُوهُ وفى آذانهم وقْراً، وإذا ذكرتَ ربّك فى القرآنِ وحدهُ ولّوا على أدبارهم نُفوراً». وقد يكون قصد أن يُحصى كلمة وحده عندما تعود إلى لفظ الجلالة الله، فالإحصاء عندها يكون صحيحاً، ولكن لا علاقة لذلك، كما ترى، بادّعائه الرسالة.

حاول رشاد خليفة إثبات أن اسم «رشاد خليفة» ورد فى القرآن الكريم، فبحث فى الجذر «خلف»، فلمّا لم يجد ضالّتهُ نظر فى معانى مشتقات الجذر «خلف» وتخيّر على هواه منها 19 كلمة، ثم زعم أنّ كلمة خليفة وردت فى القرآن 19 مرة، وتعمّد أن يترك بعض الكلمات. ولا يبعد أن يكون قد أوّل ما تركه لتسلم له دعواه.

معلوم أنّ كلمة خليفة لها معنى لغوى، وآخر اصطلاحى ،فلو كان رشاد أحصى الكلمات التى وردت فى المعنى اللغوى، ما وصل إلى مبتغاه، وكذلك إذا أحصى الكلمات التى وردت فى المعنى الاصطلاحىّ، أو فيهما معاً. وإليك بعض الأمثلة للكلمات التى تركها فلم يحصها، على الرُّغم من أنّه قد أحصى مثيلاتها:

«... قال بئسما خلفتموني من بعدي..» الأعراف: ١٥٠.
«...وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح..ـ الأعراف: ١٤٢
«ولو شئنا لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يَخلُفون» الزخرف: ٦٠
«فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية..ـ يونس: ٩٢
«...ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خَلفِهم..» آل عمران: ١٧٠

وغير ذلك كثير من الكلمات التي لم يُحصِها ليصل إلى القول بأنّ كلمة خليفة قد تكررت في القرآن الكريم ١٩ مرّة. ومن (بهلوانيّاته) الكثيرة، في محاولاته لإثبات رسالته، نكتفي أخيراً بهذا المثال:

قال رشاد: وردت لفظة «رشاد» في السورة ٤٠ في الآية ٢٩، وفي السورة ٤٠ الآية ٣٨. وأنّ خليفة وردت في السورة ٢ الآية ٣٠، وفي السورة ٣٨ الآية ٢٦ـ. ولمّا وجد أنّ هذه الأرقام لا تقسم على العدد ١٩ قام بحذف الآية ٣٠ من السورة ٢، وذلك حتى يصبح المجموع من مضاعفات العدد ١٩: (٤٠+٢٩+٣٨+٢٦) = ١٣٣ = ٧١٩ـ. والآية التي لم يُحص فيها كلمة خليفة هي:ـ وإذ قالَ رَبّك للملائكةِ إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفة...ـ والعجيبُ أنّ مسوّغ عدم إحصائها عنده أنّه يزعم أنّ كلمة خليفة في الآية يقصد بها الشيطان. ومن الغريب أنّه كان قد أحصاها عندما أراد أن يثبت أن كلمة خليفة وردت في القرآن الكريم ١٩ مرة . فأي رسول هو هذا !؟

و في حوار طويل جمع بين الإثارة والطرافة أجرته صحيفة ـالبشيرـ الصادرة في ولاية شيكاغو الأمريكية .. قال رشاد خليفة : عندي ألف برهان على أني رسول الله. وربي ذكر في القرآن أنّ الرسول الذي يأتي بعد كل الأنبياء اسمه رشاد خليفة.

وزعم أن أمين الوحي جبريل عليه السلام يتنزل عليه ويبلغه بكلام الله ،ونسب إلى جبريل عليه السلام أنه قال له : أن من يموت قبل الأربعين سنة يدخل الجنة مهما عمل.

وعندما سئل عن ميعاد يوم القيامة : أجاب بأن جبريل أبلغه بأنها ستكون سنة ٢٢٨٠ وهي من مضاعفات الرقم ١٩ .

فتوى المجمع الفقهي

انتهى المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة إلى أن رشاد خليفة ، أتى بمزاعم

باطلة منها ما يلى:

أولا: إنكاره بعض آيات القرآن الكريم.

ثانيا: إنكاره السنة النبوية المشرفة.

ثالثا: ادعاؤه بأن صلاة المسلمين هى صلاة المشركين.

رابعا: ادعاؤه الرسالة.

وحيث إن كل واحدة من هذه الدعوى الباطلة توجب التكفير، والخروج عن ملة الإسلام _ وهذا مما علم من الإسلام بالضرورة - فإن المجمع يقرر بالإجماع: إن ما أقدم عليه رشاد خليفة المذكور موجب لردته، فهو كافر مرتد، خارج عن دين الإسلام، فعلى المسلمين: إن يتيقظوا، ويحذروا خبثه وشره، وعليهم عدم التعاون معه، وأن الصلاة خلف هذا الكافر باطلة لا تجوز، وليعلموا أن هذه المزاعم الآثمة، من هذا المرتد امتداد لدعاوى أمثال له فى الردة عن الإسلام، كالقاديانية والبهائية وغيرهما من الدعوات المكفرة والمضللة، والتى أجمع المسلمون على إنكارها وردها، وإنها ليست من الإسلام فى شىء، وأن الردود الصادرة من علماء المسلمين على هذه الفرق الكافرة، هى جملتها رد على هذا المجرم الأثيم وغيره، من كل أفاك، يعمل على دك صرح الإسلام من الداخل.

وقد قال الله تعالى فى محكم التنزيل: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» التوبة: ٣٢».

وأن المجمع إذ يقرر ذلك ليوصى بطبع ما أعد من بحوث فى كشف زيف هذا الأفاك.

الفصل التاسع

الترابى
مؤسس البروتستانتية الإسلامية

المفكر السودانى حسن الترابى يعد من أكثر المفكرين الإسلاميين إثارة للجدل ، فقد أسقط حدىّ الردة والرجم، وأبطل فريضة الحجاب، وأباح زواج المسلمة من الكتابى، وأنكر عصمة الأنبياء، وغير ذلك من الأفكار التى جعلته واحدًا من أكثر الذين يهدمون الإسلام من الداخل.

وُلد حسن عبدالله الترابى العام ١٩٣٢ .. لعائلة كبيرة فى منطقة كسلا فى السودان عُرفت بالعراقة فى العلم والدين، فكان والده أحد أشهر قضاة الشرع فى عصره، وأول سودانى حاز الشهادة العالمية.

حفظ الترابى القرآن الكريم صغيرًا بعدة قراءات، وتعلم علوم اللغة العربية والشريعة فى سن مبكرة على يد والده، وجمع فى مقتبل حياته أطرافا من العلوم والمعارف لم تكن ميسرة لأبناء جيله خاصة فى السودان.. فتدرّج فى سلك التعليم حتى حصل على شهادة عليا فى القانون. سافر بعدها لأوروبا، وتنقل بين أكثر من بلد فيها، فنال الماجستير من جامعة لندن والدكتوراه من جامعة السوربون، وأجاد الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وحصّل صنوفا شتى من المعارف والثقافات الغربية حتى عدّه خصومه من الإسلاميين "متغربا"، وليس "شيخًا أصوليًا".

خلايا سرطانية

فى الوقت الذى كانت تسيطر فيه أفكار سيد قطب وتفسيراتها المتعددة على عموم الحركات الإسلامية -خاصة فى المشرق العربى- وتسوقها نحو العزلة الشعورية عن مجتمعاتها «الجاهلية» كان الترابى - بحسب الباحث "حسام تمام - يبشّر بنظرية «التفاعل مع المجتمع»، ويصوغ خطابًا إسلاميًا مغايرًا بل ومفارقًا للخطاب الإسلامى السائد وقتها، وهو الخطاب الذى دشنه بعدد من الكتب مثل: «الإيمان وأثره فى حياة الإنسان»، و«تجديد الفكر الإسلامى»، و«تجديد أصول الفقه»، و«قيم الدين ورسالة الفن»، و«نظرات فى الفقه السياسى»، وعدد من المحاضرات أهمها: «الحركة الإسلامية والتحديث»، و«قضايا فكرية وأصولية»، وكلها تحمل أفكارًا وآراءً تؤكد أن صاحبها يمتلك مشروعًا فكريًا تجديديًا متكاملا، لم ينل حقه من القراءة والدراسة، ليس بسبب طغيان الجانب السياسى على صاحبه -ولم يكن هو الجانب الأفضل منه بالمناسبة- الذى جعله سياسيًا أكثر منه مفكراً، بل لأن هذا المشروع - وهذا هو الأرجح- يحمل آراء وأفكارًا تتجاوز فى تجديدها السقف المسموح به فى الفكر الإسلامى المعاصر.

لا يتردد الترابى فى كتابه «تجديد الفكر الإسلامى» فى الهجوم على الفكر الإسلامى ووصمه ب "الإغراق فى التجريدية، والخرو"من التاريخ، والانفصال عن الواقع"، ويعتبر أن هذا الفكر «القديم» كان استجابة لعصور مضت لم تعد موجودة الآن، ومن ثمّ .. فهو بحاجة إلى" تجديد شامل يتجاوز الشكليات والمظاهر التى افتتن بها المفكرون الإسلاميون المعاصرون"، الذين لا يتردد الترابى فى الهجوم عليهم ووصفهم بالقصور وضعف القدرة على التنظير والتفكير، مثلهم مثل بقية أبناء الحركات الإسلامية التى يطولها اتهام الترابى بالجمود والقصور الفكرى، كما أن قادتها -فى رأيه- أهل ثقافة وإدارة وسياسة أكثر منهم أهل علم وتفكر وتأمل، وهو ما قد يعنى-وربما كان هذا المقصود- أحقيته بلقب المنظر والمفكر الأوحد للحركة الإسلامية"على الأقل فى بلده السودان!

منه"مختلف

وخط التجديد يمدّه الترابى على استقامته حتى يصل به إلى التجديد فى" أصول الفقه" نفسها، والدعوة إلى بناء منه"أصولى جديد للاجتهاد, بعد أن صار من غير الممكن للمنه"القديم الاستجابة لبناء المجتمع المعاصر، وقد خالفه فى

دعوته لتجديد أصول الفقه علماء معتبرون وقدموا نقدا علميا لمنهجه.

والمنهج"الجديد -الذى يتصوره الترابى- متجاوز لكل الترا"الإسلامى، ولا يحتا"-فى رأيه- إلى أن نطلب له شاهدا من التاريخ أو سابقا من السلف، فالترا"الدينى عند الترابى فيما بعد التنزيل - أى القرآن والسنة - كله من كسب المسلمين، ولا بد أن يتطور مع الأزمان تبعا لاختلاف البيئات الثقافية والاجتماعية والمادية.

وتتجاوز آراء الترابى فى قضية السنة النبوية فى كثير من جوانبها التصور الأصولى السلفى المعاصر لها ، فهو لا يعترف مثلا بخبر الآحاد - كحجة فى الأحكام - ويفرق بين الملزم وغير الملزِم من أوامر النبى «صلى الله عليه وسلم» ونواهيه، ولا يعطيها كلها حد الإلزام، ويفرق أيضا بين ما ورد عن النبى كرسول ومشرّع، وبين ما ورد عنه كبشر لا يلزمنا فى شىء، ويطالب بإعادة النظر جملة فى علوم الحديث، ويدعو إلى إعادة صياغتها مرة أخرى بعد تنقيح مناه"الجرح والتعديل ومعايير التصحيح والتضعيف.

ومن ضمن ما يقترحه فى هذا الصدد :" إعادة تعريف مفهوم الصحابة، وعدم الاعتراف بقاعدة أساسية عند المحدثين تنص على أن " جميع الصحابة عدول"، وهو ما أثار عليه ثائرة السلفيين حتى اعتبره بعضهم من منكرى السنة النبوية، بل ووضع أحد قيادات الإخوان بالسودان كتابا خاصا أسماه: «الصارم المسلول فى الرد على الترابى شاتم الرسول».

إعادة صياغة الإسلام

كان الترابى أول من طرح -من بين الإسلاميين- فكرة إعادة صياغة الإسلام وتكييفه بحسب العادات والأعراف والسمات الخاصة بكل شعب، بحى"يصبح الإسلام نُسخا متباينة بحسب طبيعة هذه الشعوب مع الاحتفاظ بالقاسم المشترك الذى يوحّد بين هذه النسخ، فنصبح إزاء إسلام سودانى وآخر مصرى وثال"أوروبى.. وهكذا.

وللترابى جملة من الآراء الفكرية والفتاوى الفقهية تجعله فى نظر البعض أقرب للفكر العلمانى منه إلى الفكر الأصولى السلفى الذى دائما ما يُنسب إليه، فهو فى قضايا المرأة يتبنى خطابا أقرب إلى حركات تحرير المرأة والحركات النسوية المعاصرة فى الغرب منه إلى الخطاب الإسلامى أو حتى الشرقى، حتى

يصل فيه إلى التأكيد على المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة حتى فى أصل الخلقة.

ويدعو إلى حرية المرأة فى العمل والملبس - حى"يعتبر الحجاب خاصا بنساء النبى - والاختلاط.. وكان تنظيمه "الجبهة الإسلامية" أول تنظيم إسلامى يقبل الاختلاط حتى داخل بنيته التنظيمية.

كما كان الترابى من أسبق الإسلاميين إلى إعلان رفض حد الردة، بل ورفض أى عقوبة قانونية على من بدّل دينه، واعتبر أن ذلك يدخل فى باب حرية الفكر والاعتقاد.

والترابى المفكر.. منطلق ومتحرر من كل قيد أو زمام"وهو ما جعله مثار صدمة وقلق دائم للجميع، خاصة الإسلاميين الذين كانت معظم خصوماته ومعاركه الفكرية معهم فطالته لائحة الاتهامات الشائعة «الماسونية، والإلحاد، وإنكار السنة، وإفساد النساء، والتحلل الأخلاقى»، حتى أن جماعة الإخوان المسلمين بالسودان -التى كان قائدا لها يومًا مًا- أصدرت بيانًا نشر سنة ١٩٨٨ تؤكد فيه أن الخلاف بين الإخوان والترابى خلاف فى الأصول، ووصفه أحد الكتاب السلفيين بأنه يكرر ما فعله مارتن لوثر مع الكنيسة الكاثوليكية، ويؤسس لما أسماه بـ "البروتستانتية الإسلامية"!

قنابل الترابى

لم تتوقف صدمات الترابى عند ما ذكرناه سلفا، بل فجر مفاجآت فى سلسلة فتاواه المثيرة للجدل عندما زعم أن المسلمين يتوهمون ويعيشون فى الأحلام وينتظرون ليلة القدر لتأتى لهم بالنعيم.

كما وجّه الترابى خلال حديثه فى محاضرة نظمها حزبه فى العاصمة السودانية الخرطوم انتقادات شديدة لطريقة تحرى هلال شهر رمضان عبر الرؤية، وقال: إن الأمر متعلق بحساب فلكى وليس لمجموعة من الشيوخ يجتمعون فى المساء ويصدرون فتوى عن ثبوت الشهر أو عدمه.

وسبق للترابى أن أثار حفيظة الأوساط الإسلامية وتعرض لحملة هجوم ضارية من قبل علماء دين وفقهاء إسلاميين اعتبروا أن فتاواه عن ليلة القدر وقضايا الحجاب، وإمامة المرأة للرجال فى الصلاة، وشهادة المرأة، وزوا"المسلمة من غير المسلم، وعودة المسيح، وغيرها من المسائل، هى" فتاوى ضد الإسلام"، ومخالفة

للشرع والمذاهب الإسلامية، خاصة تلك الفتوى التى كان قد أباح فيها زوا"المرأة المسلمة من الرجل الكتابى مسيحيًا كان أو يهوديًا، وهو ما يؤكد الفقهاء أنه يخالف «المعلوم من الدين بالضرورة».

وعن ليلة القدر.. قال الترابى :" ليس هناك شىء مادى اسمه ليلة القدر.. إنما هى مناسبة تشبه العيد.. مثلها مثل غزوة بدر، التى كانت مناسبة فاصلة بين الإيمان والكفر .. غيّرت مسيرة البشرية كلها".

عيسى مات

وفى محاضرة للترابى بالخرطوم قال: «عيسى ـ عليه السلام ـ مات فى اختفائه»، وبينما انطلقت همهمات حضور ندوة بعنوان «الفقه الإسلامى بين التقليد والتجديد» قال الدكتور الترابى: «لستُ سنيا ولا شيعيا» وكرّر الترابى جملته موضحًا أن عيسى ـ عليه السلام ـ مات فى اختفائه ولايزال المسلمون ينتظرونه والمسيحيون ينتظرونه».

وعلت الدهشة وجوه غالبية المشاركين فى المحاضرة التى عقدت بجامعة الخرطوم لما تحتمله جملة الترابى من مخالفة لنص الآية الكريمة «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا».

واستنكر الترابى على المسلمين استشهادهم الدائم بالسلف الصالح موضحا: «أصبحنا نقدس السلف الصالح، والسلف عندنا دائما صالح رغم أن تاريخنا أسود»!

وتابع «عندنا أن الصحابة كلهم فى الجنة.. فى حين أن أبا هريرة مثلاً لم يطلق لسانه برواية الحدى"إلا بعد وفاة عمر بن الخطاب ، الذى كان يقف فوق رأسه بالدرّة مانعا إياه من رواية الأحادى"الغريبة».

وأعاد الترابى تأكيد فتواه التى عارضها غالبية العلماء بـ «إمامة المرأة للرجال إذا كانت الأعلم»، وجزم أن الفقهاء «زوروا فتوى الإمامة السياسية للمرأة بالأحاديث، واحتكر الرجال الفتوى والفقه وعلم الحديث».

ووصف الردة بأنها «العودة للوراء فى أى شىء وليس خروجا من الإسلام إلى الكفر»، كما رفض من قبل وصف اليهود والنصارى بالكفر قائلا إنهم «مؤمنون»، ودعاهم إلى «تكوين جبهة من المؤمنين لمواجهة الإلحاد العالمى».

وأجاز كذلك إمامة المرأة للرجال فى الصلاة، وساوى بين شهادتها والرجل فى القضاء، وأجاز شرب الخمر وحرّم السكر ، وأنكر نزول السيد المسيح - عليه السلام - وأنكر وجود الحور العين فى الجنة اللائى لم يطمثهن إنس من قبل ولا جان.

وكان علماء سودانيون قالوا بتكفير الترابى من بينهم رفيقه فى الحركة الإسلامية رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة بالسودان الدكتور جعفر شيخ إدريس، الذى أصدر فتواه العام ١٩٩٥ وكان الترابى وقتها رئيسًا للبرلمان.

كما أصدر العالم السودانى محمد عبدالكريم محاضرة صوتية بعنوان «إعدام زنديق» أفتى فيها بـ «زندقة» الترابى على خلفية قوله بـ «عدم عصمة الأنبياء».

الفصل العاشر

نوال السعداوى
كارهة الإسلام

فى أكتوبر من العام ٢٠١٠ .. أكملت الكاتبة الدكتورة نوال السعداوى عامها الثمانين ، فهى من مواليد ٢٧ أكتوبر ١٩٣٠ ، ورغم تقدمها فى العمر إلا أنها لا تزال مثيرة للجدل بأفكارها ومؤلفاتها التى لا تجد أى صدى فى مصر ، ولكنها تحصد عنها الجوائز فى بلدان تكره الإسلام بالسليقة ، وتتلقف كل من يناصبه العداء ، وتوفر له أقصى درجات الرعاية والعناية .

السعداوى - التى تخرجت فى كلية الطب جامعة القاهرة فى نهاية العام ١٩٥٤- تقف موقفاً غريباً من الإسلام ومن الأديان السماوية جميعها ، بل من الله جل فى علاه، وترى مثلا: إن (الحجاب عادة جاهلية والحج وثنية والشذوذ حرية) ..

وصدر لها نحو ٤٠ كتابا ، تمت ترجمتها إلى أكثر من ٣٥ لغة ، وتدور الفكرة الأساسية لكتاباتها حول الربط بين تحرير المرأة والإنسان من ناحية ، وتحرير والوطن من ناحية أخرى فى نواح ثقافية واجتماعية وسياسية.

عُقد نفسية

يصف الكثيرون الدكتورة نوال السعداوى.. بأنها امرأة مُعقّدة امتلأ قلبها وعقلها منذ طفولتها بالكثير من العقد النفسية والاجتماعية، فرأت أبا أو زوج أمّ متسلطًا على أمها، يسيء معاملتها ويهينها ويقسو عليها ويستعبدها، فظنت، «وبعض الظن إثم» ، أن هذا هو الإسلام، وأن هذا هو وضع المرأة فيه ، وأن تلك السلوكيات غير السوية لأبيها أو زوج أمها، إنما هى من تعاليم الإسلام وآدابه.

ورغم أن هذه المرأة قد بلغت مبلغا من العلم ، لم تحاول أن تتعرف على الإسلام من مصادره الصحيحة، ولم تحاول أن تتعرف على وضع المرأة الحقيقى فى هذا الدين، وكيف كرمها الإسلام وصانها ورفع منزلتها ودرجاتها، ومنحها مكانة لم تصل إليها فى أى دين من الديانات أو أى حضارة من الحضارات.

كما لم تحاول أن تقرأ عن سيرة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وموقفه من المرأة طفلة وفتاة وزوجة وأماً وجدة وعمة وخالة، وكيف أنه كرمها وأحسن إليها وأوصى بها حتى وهو على فراش الموت حين قال: (أوصيكم بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم، لا تكلفوهن ما لا يطقن) والرسول هو القدوة لكل رجال الإسلام، ومن شذ عن هديه وسنته مع النساء، فقد خالف وانحرف عن الصواب.

المهم أن هذه المرأة التى بلغت من الكبر عتيًا - كما يقول الباحث أحمد أبوزيد - أرادت أن تحقق لنفسها شهرة واسعة، فلم تجد لذلك وسيلة إلا الطعن فى الدين، وهو نفس الطريق الذى سلكه قبلها: سلمان رشدى ونسرين تسليمة وفرج فودة ونصر أبوزيد وعلاء حامد ، فكلهم دخلوا خندقًا واحدًا، بعد أن أصبح الطعن فى الدين الوسيلة الأسرع للشهرة فى هذا العصر الذى كثر فيه المرجفون، الذين يحملون أسماء إسلامية ويعيشون بيننا ويحاربون ديننا وعقيدتنا .

خطاب استعلائى

فى المقابل يرى الكاتب رونى فلحوط أن الإرث القمعى الطويل فى المجتمعات العربية، وانتكاسات مشروعات النهضة عبر التاريخ الحديث، رغم التضحيات التى قادتها النخبة على اختلاف توجهاتها، هو ما دفع مفكرين ومثقفين إلى مصير مؤلم تراوح بين الانسحاب، أو مغازلة الأنظمة الاستبدادية ذاتها، أو الارتماء فى حضن المؤسسات الغربية التى تقدم وصفة سحرية للديمقراطية، ليست سوى خطاب استعمارى مستتر بآليات عمل جديدة، أو التحول إلى

«مرضى حرية» يوجهون سهام لعناتهم إلى الشعوب والحكومات على حد سواء.

مضيفا: تعتبر الكاتبة المصرية نوال السعداوى، واحدة من «ضحايا» هذه الحرية المزعومة، فهى بدلاً من مقاومة سيف «الجلاد»، تحولت إلى جلاد من نوع آخر يلهب ظهر الإنسان العربى، داعية إياه إلى التحرر الآن وحالاً وفوراً، عبر خطاب مراهق واستعلائى يصل إلى حد الشتم والتسفيه.

«أحيانا أستخسر نفسى أن أكون فى مثل هذه المجتمعات» . هكذا تقول السعداوى.. فى خطاب لها . يمثل أعلى حالات «المرض» وعبادة الذات، لا يختلف كثيراً عن أعراض مراهقة فكرية واضحة تمثلت فى كتابها الأخير الذى يحمل توقيعها باسم والدتها بدلاً من اسم أبيها، لتصبح «نوال زينب» بدلاً من «نوال السعداوى» تحت وهم رد الاعتبار للنساء «المحرومات» من أن يحمل الأبناء أسماءهن أسوة بالرجال.

وتدعى الدكتورة السعداوى أنها تحارب التطرف، لكن نظرة سريعة على كتبها وأفكارها وتصريحاتها تؤكد أنها تبيع البضاعة نفسها باتجاه مقلوب.

والجميع أعداء نوال السعداوى حسب ما تتوهم هى: «الأصوليون والحكومات والنخبة الثقافية».. حيث إنها هى وحدها التى تملك شرف التفكير وتحتكر حقيقة الحرية.

السعداوى عرضة لهجوم من أطراف عديدة، هذه حقيقة، لكن ليس سبب الهجوم الأساسى هو ما تقدمه من أفكار، ولكنه يرجع إلى رغبتها الجامحة فى الصدام وإثارة الضجيج الإعلامى. إنها بارعة فى ابتكار أساليب صدام جديدة تضمن لها مزيداً من الأضواء والتسويق رغم أن عمرها يقترب من الثمانين عاماً.

تعرضت نوال السعداوى للسجن فترة قصيرة فى ٦ سبتمبر ١٩٨١ أواخر حكم الرئيس المصرى الراحل السادات، كما تم رفع قضايا ضدها، منها قضية الحسبة للتفريق بينها وبين زوجها، وتوجيه تهمة ازدراء الأديان لها على إثر كتابها «الإله يقدم استقالته من اجتماع القمة» الذى اضطر الناشر «مدبولى» إلى حرق نسخه قبل طرحها فى الأسواق، بسبب ما يحتويه من شطط ضد الذات الإلهية، وأشيع أن الجماعات الإسلامية وضعت اسمها على «قائمة الموت»، ما منحها فرصة للجوء إلى الغرب وعملها أستاذة زائرة فى جامعة أطلانطا الأمريكية.

الحج وثنية

آراء وأفكار الدكتورة السعداوى تسير على «طريق الرضا الغربى»، ما جعلها واحدة من أشهر الشخصيات المصرية والعربية فى أمريكا وأوروبا، حيث إن أبرز معاركها هى الحجاب وختان الإناث وتعدد الزوجات وتحميل الإسلام مسؤولية تخلف المجتمعات العربية وتدهور الحياة المدنية.

وخلاصة قراءة مؤلفاتها لا تمنح القارئ جدلاً فكرياً عميقاً يدفعه إلى مراجعة أفكاره حول مُسلّمات عتيقة، ولا تمارس حفراً أركيولوجياً فى جذور الاستعباد العربى عبر قرون طويلة، إنها مجرد مناوشات سطحية إعلامية «تنفّر» لا «تُحرر»، وتدل على مأزق شخصى تعانى صاحبته _ الطبيبة فى الأساس- من عقدة اضطهاد مزمنة، عليها هى أن تحاول علاجها قبل أن تصف «روشتة» العلاج للآخرين.

وكتب مهيب الأرناؤوطى قائلا: إن السعداوى تعتبر أن الحج وثنية، وأنها لا تعرف هل الله ذكر أم أنثى، بعد أن أعلنت حبها لإبليس لأنه متمرد وليس خانعاً، وهاجمت الذات الإلهية فى روايتها «سقوط الإمام»، ظهرت نوال مرة أخرى بمسرحيتها «الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة»، والتى تسبُّ فيها الذات الإلهية والأنبياء والملائكة من دون رموز وبأسمائهم الحقيقية نشرتها مكتبة مدبولى ضمن إعادة نشر أعمالها الكاملة .

بالحبر السرى

تقول مقدمة المسرحية إن نوال بدأت الكتابة فيها قبل شهر من حملة الاعتقالات التى قام بها الرئيس المصرى الراحل أنور السادات فى سبتمبر ١٩٨١، وأنها كتبت المسرحية بالحبر السرى فى المعتقل، لكنها قررت حرقها من شدة الرعب ثم كتبت رواية «سقوط الإمام» من وحى هذه المسرحية.

وبحسب المقدمة فان نوال قررت كتابة المسرحية أثناء زيارتها للولايات المتحدة، عندما شاهدت روايتها «سقوط الإمام» تقدمها مجموعة طلبة أمريكيين كمسرحية، والمسرحية لا تحدد المكان أو الزمان وتضم شخصيات الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، إضافة إلى رضوان حارس الجنة الذى تصوره نوال كسكرتير خاص للذات الإلهية، كما صورت إبليس شاباً وسيماً فى الثلاثين من عمره، بينما قدمت الإله كرجل فى الستين من عمره ولا يتحرك من مكانه!!

(سبحانه وتعالى عما تقول وعما تصف علواً كبيراً)، ويرتدى ملابس الملوك ومن حوله الجنود، وبجانبه بحيرة من الماء وأنهار من الخمر.

وفى مقابلة تليفزيونية مع برنامج «الحقيقة» لـ «وائل الإبراشى» - الذى يذاع على فضائية «دريم ٢» المصرية الخاصة - كانت المواجهة بين الدكتورة نوال وبين صاحب أشهر مكتبة فى مصر الذى أعدم كتابين وهما «سقوط الإمام» و «الإله يقدم استقالته» .

بدأت الدكتورة نوال السعداوى كلامها بأنها تشفق على الناشر الشهير محمد مدبولى الذى أعلن أنه قام بإعدام ٤٠٠٠ نسخة من الكتابين «سقوط الإمام»، «الإله يقدم استقالته من اجتماع القمة»، والذى لم يطبع منه إلا نسخة واحدة ، حيث اتهمت الدكتورة الجهات الأمنية بأنها ضغطت على المكتبة لتعدم الكتاب وقالت أنها سمعت هذا الكلام من ابن مدبولى شخصيًا، وهذا ما نفاه مدبولى نهائيا وقال «لا دخل بأى جهات أمنية بقرارى هذا» .

ادعاءات أخرى

ولم تواجه الدكتورة نوال مدبولى فقط بل واجهت أيضا الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر السابق ، والداعية يوسف البدرى .

فى البداية كان الحديث بين الدكتورة نوال والدكتور عبدالفتاح، حيث بدأ كلامه بأن «التعرض للذات الإلهية بعبارات لا تليق بالله لا يقبلها أى دين من الأديان السماوية، فالله له صفات لا يجوز أن يعتدى عليها أحد ولا يجوز أن يجسده أحد ، فعندما تقول الدكتورة إن الله قدم استقالته فهل معنى ذلك أنه لا يوجد الله بعد ذلك ، فلا يمكن أن نصف الله الذى نعبده بصفات بشرية ، فكيف لنا أن نوصف السماء بأنها مجلس إدارة وأن الله يقدم استقالته منها» .

«الإله غير الله» هكذا جاء رد الدكتورة على اتهامات الشيخ وقالت: الآلهة كثيرة جدا ولها أسماء كثيرة فمفهوم الإله غير مفهوم الله ، فكيف لنا أن نقول إن الله عبارة عن حروف دينية تكتب أو كلمات فى كتاب ، وأخذت تتساءل عن كيفية أن تحجب العقول عن الفكر «فالله هو العدل» .

وفى مسرحية «استقالة الإله».. جسدت الدكتورة نوال فى المسرحية الأنبياء والشيطان والله وقالت: «الأزهر يأخذون القشور مثل تغطية الشعر ، والحروف المطبوعة فى كتاب ، فقد قال لى والدى الشيخ الأزهرى أن الله ليس كتابا ، وهذا

هو الخلاف الجوهري بيني وبين الأزهر » هكذا كان رد الدكتورة «نوال» على اتهامات الشيخ «عبدالفتاح» لها بأنها تعدت على الشريعة وعلى الذات الإلهية .

وهاجمت الدكتورة «نوال» الأزهر وأرجعت هذا الهجوم إلى اتباع الأزهر للحكام والملوك وتسييسه كمؤسسة دينية تتبع أوامر الملوك قديما مثلما كان أيام الملك فاروق ويتبع أميركا الآن.

هل هربت الدكتورة نوال من مصر بعدما هدد مجمع البحوث الإسلامية بتقديم بلاغ ضدها ؟ هكذا سأل وائل الإبراشى الدكتورة «نوال» التى أجابت بأنها لم تهرب من مصر وأنها تستطيع أن تتصدى للعفاريت والجن.

وتعجبت الدكتورة نوال من علماء الأزهر وتساءلت: لماذا تُنصّبون أنفسكم متحدثين باسم الإسلام؟ ، كما طالبت بأن يتركوا كتبها وأفكارها يحكم عليها القراء ويتركوا الحكم لهم ولا يعينوا أنفسهم حكاما وقالت: إن المغرب قد نشرت كتابى وأيضا كتاب «الإله يقدم استقالته» فلماذا تعدمه مصر؟!.

حلقة الإبراشى لم تنته إلى هنا، بل هناك جزء من المواجهة الذى تولاه الشيخ الداعية ـ يوسف البدرى ـ والذى هاجم الدكتورة ـ نوال ـ العديد من المرات قبل ذلك فى جميع الوسائل الإعلامية واتهمها بالكفر .

قال البدرى : إن هناك فرقا بين الحرية وبين هدم مقومات المجتمع، فكتاب واحد كفيل بأن يعبث بعقول الكثير ، فالكاتبة لها خيال جامح جعلها تتحول من طبيبة إلى كاتبة ولكن كتاباتها فيها نوع من الخروج عن الشرائع السماوية ، فالإله اسم من الأسماء الحسنى لعل الكثير لا يعلم هذا ، فالله ليس مثله شىء وقال تعالى «فهو الذى فى السماء اله» قال تعالى «يد الله فوق أيديهم» إذن فالله له يد ولكن ليس مثله أحد ، فكتابة الدكتورة تحتوى على جرأة عجيبة فنحن سنحاسب الدكتورة كمسلمة تؤمن بالله فهل قال الله تعالى يا نوال ياسعداوى يا أمتى قومى وألفى كتابا يسمى «الإله يقدم استقالته» لقد جسدت الدكتورة نوال الله كرجل عجوز وقور سنه فى الستين فكيف جسدت الله بهذا الشكل؟!

ملحدة

فى مقابلة تليفزيونية نفت السعداوى أن تكون ملحدة، وقالت إنها باحثة فى الأديان وأن رحلة بحثها لم تنته بعد، حتى تصل للحقيقة ثم تختار، وأنها ترفض أن ترث الدين .وأنها ترى أن الله هو الضمير، وأنه لا يخرج من المطبعة، فى

إشارة للكتب السماوية، وأن الناس البسطاء الذين لا يجيدون القراءة والكتابة يعرفون الله بالفطرة بأنه العدل والخير فى الحياة، وأن الايمان بالوراثة ليس إيماناً، والدين لايؤخذ من آيات متفرقة.

السعداوى تحدثت كذلك عن موقفها المعلن ضد النقاب والحجاب وقالت إنه لا علاقة له بالاسلام، وطالبت الناس بالبحث عن الوقت الذى نشأ فيه الحجاب فى التاريخ.. وقالت: بأنه نشأ قبل اليهودية ، وظهر فى اليهودية ، ثم المسيحية ثم الإسلام .. ونشأ من العبودية .. وعندما حاججها مقدم البرنامج بأن هناك آية فى القرآن تنصح بالحجاب.

أجابته : «الدين لايؤخذ من آيات متفرقة» وحاججته بأن هناك آية سقطت لأنها تتنافى مع المصلحة وتتحدث عن «الرق والعبيد والإماء» ، وقالت: إن الحياة متغيرة والدين يتغير .. وأنه لاجمود فى الدين .. وتساءلت : «اشمعنى آية الجوارى والعبيد ومفيش حد بيتكلم عنها ؟» يعنى هناك اختيار وأن الدين سياسة.

خيالات مريضة

وتعلق أستاذ الفلسفة والعقيدة بجامعة الأزهر الدكتورة آمنة نصير على تجاوزات السعداوى وأشباهها قائلة: الأديان السماوية أصبحت مباحة للخوض والإساءة إليها من قبيل العقل والمعرفة وذوى الخيالات المريضة، حتى أنها تحولت إلى موضة يتشدق بها أصحاب الخيالات المريضة ، فلا نتعجب أن يكسر هؤلاء كل الخطوط الحمراء فى الإساءة سواء للمقدسات أو للذات الإلهية تحت ادعاء حرية الابداع والفكر والرأى وهى دعوات لا صلة لها بالإبداع.

وأضافت: علينا كعلماء مواجهة تلك الخرافات والخيالات المريضة، التى تخرج علينا من وقت إلى آخر كالجراد الهائج من أولئك الذين يغضبون عندما نواجههم ويتهمون بالتشدد، وبالحجر على ما يعتبرونه إبداعًا .

الفصل الحادى عشر

نادين البدير:
ائذنوا لى بأربعة أزواج أو أكثر

أثارت الكاتبة والإعلامية السعودية نادين البدير زوبعة من الانتقادات والغضب بعد أن نشرت مقالا غريبا، في صحيفة مصرية، تدعو فيه إلى إباحة تعدد الأزواج .

كانت البدير- التي تعمل مقدمة برامج في إحدى القنوات الفضائية- كتبت مقالا في المصري اليوم ،عنوانه (أنا وأزواجي الأربعة) في العام ٢٠٠٩ ,قالت فيه :
(ائذنوا لي أن أُزفّ إلى أربعة، بل إلى خمسة، أو تسعة إن أمكن، أختارهم مختلفي الأشكال والأحجام، أحدهم ذو لون أشقر وآخر ذو سمرة بقامة طويلة أو ربما قصيرة، أختارهم متعددي الملل والديانات والأعراق والأوطان، وأعاهدكم أن يسود الوئام).

وأضافت : (اخلقوا لي قانونًا وضعيًا أو فسروا آخر سماويًا واصنعوا بندًا جديدًا ضمن بنود الفتاوى والنزوات، تلك التي تجمعون عليها فجأة ودون مقدمات، فكما اقتادوني دون مبررات لمتعة وعرفي وفرينذ ومصياف ومسيار وأنواع مشوشة من الزيجات، فلتأذنوا لي أن أقتاد بدوري أربعة).

وفى أول رد فعل على هذه الدعوة الغريبة، تقدم المحامى خالد فؤاد حافظ، نائب رئيس حزب الشعب الديمقراطى المصرى وأمينه العام ببلاغ للنائب العام فى مصر ضد الصحيفة والكاتبة يتهمها فيه بتشجيع الفجور والترويج لنشر الفحشاء بين المجتمع المصرى ، وازدراء الأديان والشرائع السماوية .

واتهم البلاغ الكاتبة بالدعوة الصريحة لهدم الأديان، وقال إن المقال المشار إليه يحتوى على كثير من الجرائم التى يعاقب عليها القانون، فضلا عن مخالفته للمادة الثانية من الدستور المصرى التى تقرر أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.

واتهم الصحيفة بأنها قامت على صدر الصفحة الأولى بالترويج لهذا الشذوذ والتحريض على الفسق واختلاط الأنساب، وقد وضعت صورتها على يسار أعلى الصفحة الأولى بجوار المانشيت وكتب بجوارها : الكاتبة السعودية نادين البدير تكتب أنا وأزواجى الأربعة (ص "صفحة" ٥) .

واعتبر أن هذا الأمر مخالف للقوانين والأعراف ومن قبل ذلك الأديان وميثاق الشرف الصحفى وهدما للدين الإسلامى، كما طالب بإحالة رئيس مجلس إدارة الجريدة للمحاكمة أيضا وبتعويض المجتمع المصرى الذى أصابه الضرر جراء نشر هذا المقال فى دولة إسلامية.

سخرية

غير أن نادين البدير سخرت من الغاضبين والمنتقدين لها ولدعوتها الغريبة، وكتبت مقالاً مستفزًا عنوانه : "ما بكم؟ وما كل هذا الغضب؟"

جاء فيه:

بما تشعرون؟

بالجرح؟ أم الإهانة؟ لِمَ تعتصرون؟

تعتقدون أن سطورى تنافت ومكانتكم التاريخية العريقة؟

ما كل هذا الغضب؟

لطالما دوت برؤوسنا عبارة (حاتزوج عليك يا امرأة) وسكتنا ، خنقتنا عبراتنا واكتفينا بتحمّل المهانة وأنتم تلغون شراكة زوجية مديدة هكذا وبلمح البصر.

خلال الأيام الماضية وبعد نشرى مقالة بعنوان (أنا وأزواجى الأربعة) هاجت الدنيا من حولى وماجت " .."انتشرت الأقوال والاتهامات ،واكتشفت دواخل

ذكورية كنت أجهلها.

أقسم رجل أن الساعة قد اقتربت وأن مقالى إحدى علاماتها... ونصّب آخر نفسه قاضيًا دينيًا وشرع يطلق الأحكام والأوصاف داخل محكمة دينية شيّدها وهمُ خياله الخصب. من يجرؤ على التدخل بين الله وبينى غير فاقد عقل أو معتوه؟ من يتجرأ فيحدد حجم إيمانى غير متكبر يصرٌ على ربط الدين بالوحشية ووقاحة الألفاظ.

و ثالث قرر حرمانى جنات الخلد... ورابع اعتبر المقال تشجيعًا للفجور ونشرًا للفحشاء.

وتابعت : أفرغتم المقال من مضمونه ومعناه الذى قصدته، فى السعى نحو العدالة، وبزواج أكثر سعادة، بأسئلة طرحتها لأنى أعلم كما تعلمون أن معظم زيجاتنا غير سعيدة ويصيبها الملل بعد العام الأول. الحل موجود عند الرجال (عبر التعدد) لكن ماذا تفعل المرأة؟

أؤمن بأحادية العلاقة، كونها تناسب ظروفنا وعصرنا وتناسب شيئاً لم يجربه كثيرون اسمه الحب.

أؤمن بالمساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات رغم إيمانى باختلاف الأنفس والأجساد، أؤمن أنه وجب إعادة التفكير بممارسة تعدد الزوجات لأنى أعرف أن....

- الدول العربية بل وأشدها تحفظًا وقعت على اتفاقية سيد أو (إلغاء أشكال التمييز ضد المرأة)... التوقيع على الاتفاقية يعنى التوقيع على مساواة المرأة بالرجل... وممارسة تعدد الزوجات خصوصًا بأشكاله الجديدة المدعمة بفتاوى فوضوية يفرغ الاتفاقية من مضمونها ومن روحها.

- تونس أصدرت قانونًا يمنع تعدد الزوجات، وهى دولة عربية إسلامية.

- المغرب أصدرت قانونًا يحدد تعدد الزوجات بشروط صارمة، وهى دولة عربية إسلامية.

المهم، رغم سطحية القراءة وشطحات الردود، أزعم أنى وصلت لمبتغاى واستفززت أعزائى الرجال، حققت جزءاً كبيراً من هدفى فى إثارة حنقهم وغيرتهم، وانتصرتُ بجعلهم يشعرون بنفس شعور ملايين النساء ممن مورس ضدهن التعدد بأشكاله الهمجية الكثيرة.

تلميذة السعداوى

تعتبر نادين البدير نفسها تلميذة نجيبة لنوال السعداوى ,وهو ما شددت عليه فى مقابلة صحفية ,أجريت معها ، ننقل لكم مقتطفات منها :

"أنا أعتبر نفسى تلميذة نجيبة جدًا لنوال سعداوى، والكثيرون معجبون بها من الداخل، ولكن بعضهم أصبح يتخوف وهو يخجل من قول ذلك، كون اسمها ارتبط بالكفر وأنها خارجة عن الدين، ولكننى أعتبرُ نفسى تلميذة نجيبة جدًا لها وكان لها دور كبير فى حياتى".

وعندما سُئلت عن أسباب مطالبتها بتعدد الأزواج, أجابت:

" أرى أن مرتكب التعدد إنسان يجب أن يُزجّ به فى السجن، لأنه بهذا الفعل يمارس العبودية للبشر، لأنه يبحث عن إرضاء غرائزه الحيوانية عبر ممارسة الجنس."

وأضافت:" الرق كان موجودًا فى الإسلام، ولكن الحكومات منعته، لماذا لم تمنع التعدد فى الزوجات؟ وإذا كان لابد من التعدد، فليسمحوا لنا نحن النساء أن نتزوج من أكثر من رجل؟أو فالمرأة عمومًا هى التى تحتاج إلى (الدلال) وحين تتزوج أربعة رجال، فإنها تحصل على الدلال الذى تريده(١).

وتكمل: "وإذا كان الموضوع على الجنس، فالكل يستطيع أن يمارس الجنس أكثر من مرة فى اليوم، فليست هذه هى المشكلة، المشكلة كيف هى أننا نتعامل مع المرأة كجسد ومتعة، فى وقت تحتاج هى إلى من يعطيها الحب والحنان بمفردها".

وزعمت أن قوله تعالى: " ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ يعنى أن يتزوج الرجل ٩ نساء على اعتبار إن مثنى هى اثنان وثلاث ورباع، فإن العدد الكلى يصل إلى ٩ وأنا لست مفتية ولكن مثل هذه الأمور تحتاج إلى مواقف حازمة.

لا تؤمن نادين بالحرية المتوازنة، فهى ترى أن الحرية حين تكون مقيدة بأى شكل من الأشكال، فهى تمنع الإبداع، والتطور: "أريد حرية مطلقة بدون قيود، لأن الإنسان من دون قيود سيبدع، لذلك هم فى الغرب مبدعون، أما نحن ففى تراجع، فبمجرد أن تضع قيودًا على الحرية تكون قد منعت الإبداع".

العرى طريقى إلى الجنة

ونادين البدير.. كاتبة صحافية وإعلامية سعودية، ومعدة ومقدمة البرنامج التليفزيونى" مساواة"، وهى الابنة الثانية للسيدة نبيلة الناظر ورجل الأعمال سليمان البدير، تقيم حاليا فى دبى، بدأت بالكتابة فى صحيفة "عكاظ "ثم انتقلت إلى مجلة" المجلة" ،ومنها الى صحيفة" الوطن السعودية" قبل أن تقدم برنامجا بعنوان "مساواة" على قناة الحرة، و تنشر مقالات فى مطبوعات عربية عديدة.

تدافع نادين البدير عن ملابسها العارية ،وترى أنها لا تقترف بذلك خطيئة أو معصية،و أن ذلك لن يحرمها من دخول الجنة،فقالت فى مقابلة صحفية:

أتعمد أن ألبس تنورة قصيرة، لأن الفتاة السعودية لابد أن تلبس لبس العالم العادى، فأنا أظهر باللبس الذى أرتديه يوميًا فى حياتى العادية، أنا أعيش حياة واحدة، ولا أرتدى الأقنعة أمام الآخرين.

وأشارت إلى أن الكثيرين أصبحت علاقتهم مع الأسماء وليس مع الله، ولكنها تعتبر أن علاقتها مع الله فقط، ولا تربطها بأشياء تافهة كاللبس والأكل وغيرها " أنا لا أؤمن بأن قطعة قماش توضع على الرأس يمكن أن تدخلنى الجنة" .

مزاج المواخير

فى المقابل انتقد علماء دين أفكار البدير ،وصنفوها ضمن أولئك الباحثين عن الشهرة بأى ثمن ، فكتب محمد العوضى،الذى يشاركها الكتابة لصحيفة "الراى" الكويتية، مقالا عنوانه "الكتابة بمزاج المواخير".جاء فيه :

" وبات لدىّ من اليقين أن صاحبة فكرة «أنا وأزواجى الأربعة» تجمع بين صفات عدة: (جهل + حقد + غرور + جرأة)، فكانت النتيجة تهورا لفظيا ثم افتخارا بالتهور بطريقة تؤكد تلك الصفات... إنها تريد إغضاب الرجال وتفرح بإثارتهم، ونحن نقول: نعم أغضبتهم أو أغضبت الكثيرين... هنا المشكلة أن يستمرئ الإنسان صفات السوء ولا تشكل عنده شيئاً - لا بالحق - ولكن بالتهور فى صورة لوثة فكرية. يتصل بذلك ما يردده البعض من أن مولاتنا تريد الشهرة بأى طريقة وقد حققت الشهرة وزيادة.

أقول :ان صاحب الفكر والرسالة من حقه أن يشهر نفسه ووسائل الشهرة اليوم ببلاش. ولعل قصة الرجل الذى ذكره ابن الجوزى وضرب به المثل بأنه تبول

فى بئر زمزم لنيل الشهرة معروفة... نعم اشتهر ولكن بماذا؟ انه دخل التاريخ من أوسخ أبوابه.

إن كتابات تلميذة السعداوى الفاشلة، ما هى إلا فضيحة لمستوى المقالات الصحافية من حيث جرأة القلم من بث جهله بكفاءة متناهية وغرور منقطع النظير ولنأخذ مثالاً من كومة جهالات فى مقال واحد ذى الصلة بتعدد الفحول.
قالت مولاتنا: «تونس أصدرت قانوناً يمنع تعدد الزوجات، وهى دولة عربية إسلامية» فى مقالها بعدما ذقتم طعم الغضب، ونحن الآن نذيقها لذة الجهل الذى ترتع فيه... تونس دائماً تضرب مثلاً لدى العلمانيين على البلد الذى تجاوز قانون الأحوال الشخصية الإسلامى بتعديلات كبيرة، والسؤال ما حال المرأة والأسرة فى تونس؟

ويجيب العوضى قائلاً: أظهر تحقيق ارتكز على نتائج أعدتها وزارة المرأة التونسية أن تونس باتت فى صدارة الدول العربية فى نسب الطلاق، والرابعة فى العالم، وطبقاً للدراسة فإن أسباب ظاهرة الطلاق تعود إلى عوامل أربعة أساسية... ودعت الدراسات إلى رصد ظواهر الاصابة ببعض الأمراض نتيجة العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، وتصاعد حالات إجهاض الشابات خارج إطار الزواج التى قفزت من (١١٦٤) حالة فى عام ٢٠٠١ إلى (٢١٦١) فى عام ٢٠٠٥... ومن المفاجأة أن على إبراهيم الباحث الديموغرافى المدير فى الديوان الوطنى للأسرة والعمران البشرى، ذكر ان نصف حالات الطلاق تتم خلال السنة الأولى من الزواج وما يعنيه ذلك من ضرورة المتابعة النفسية والاجتماعية تحليلا لهذه الظاهرة ومعالجتها. (صحيفة الحياة اللندنية الخميس ١٠ ديسمبر ٢٠٠٩).

هلوسة

وكتب العوضى فى موضع آخر:

قالت مولاتنا: «لطالما طرحت السؤال حول علة الاحتكار الذكورى لهذا الحق، لكن أحدا لم يتمكن من إقناعى لِمَ: انا محرومة من تعدد الأزواج؟».

قبل أن أبدأ بالإجابة لمن تعانى الحرمان الذكورى المتعدد يجب أن تكون الصورة لدى القارئ واضحة ومكتملة؛ كى يفهم هذا الصنف من النساء المسكينات، فظاهر سؤالها البحث عن الحقيقة ولكن سياقه فى ظل مقالها جاء بلغة التحدى والاستفزاز والاستهزاء كما هو بيّن من خطابها العام الذى يعكس نفسية امرأة

تجتر الجراحات وبحالة نفسية مأزومة... فلابد أن تكون الإجابة من جنس السؤال ، لذا سنذيقها طعم جهلها بكأس غرورها وهو ما تسميه بالتأديب الثقافى العلمى لمن أدمنوا نشر جهلهم على الناس.

وتساءل العوضى :

هل البغى (العاهرة) نموذج يصلح أن يُضرب به المثل على المرأة الطبيعية فى تعاطيها الجنس ويجعل من مهنتها شاهدا على تحمل المرأة لتعدد الأزواج؟

وأجاب قائلا: سألت الدكتور خليل العوضى مستشار جراحة الكلية والمسالك البولية والعقم (والأمين العام للجمعية العربية للمسالك البولية) : ما الفرق بين المرأة والرجل فى الأعضاء التناسلية، وما صلة ذلك بالتعدد الذكورى؟ فأجاب :هناك فرق تشريحى فالمرأة عندها الحجاب الجنسى الحاجز السفلى مخترق بثلاثة أعضاء، فتحة البول والمهبل ونهاية القولون (الشرج)، أما الرجل فعنده فتحتان للذكر واحدة ونهاية القولون (الشرج)، ويلاحظ هنا أن الثلاث فتحات التشريحية عند المرأة متقاربة جدا بينما المسافة بين فتحتى الرجل تعتبر كبيرة، يضاف إلى ذلك أن المرأة لا يوجد عندها صمام حقيقى قوى سواء فى مجرى البول أو المهبل بعكس الرجل.

أما (فسيولوجيا) فالمرأة تحيض من ٣ إلى ٥ أيام فى الشهر كمعدل بخلاف الرجل، يترتب على ما ذكرنا فإن منطقة الحوض الأنثوى محتقنة، بسبب قرب المسافات بين الفتحات ونزول الافرازات ويضاف إلى ذلك أن المرأة أثناء حملها تبقى (٩) شهور محتقنة بسبب ارتفاع الهرمونات وكلها تؤدى إلى التهابات.

وفوق ذلك.. فإن العملية الجنسية بحد ذاتها تعتبر ضربات خفيفة للمرأة على المدى البعيد رغم المتعة.

النتيجة أن المرأة مُعرّضة للالتهابات أكثر من الرجل بالإضافة إلى تغيّر الوسط القلوى للمرأة فى المهبل، إذا هى معرضة للالتهابات أكثر من الرجل، وهناك فرق بين نوعين من الالتهابات أ - جنسية خارج نطاق الزوجية عن طريق الاتصال الجنسى المباشر (البغى) وهو ما عانت منه مجتمعات وأجيال كمرضى السيلان والإيدز.

ب - التهابات جنسية داخل نطاق الزوجية بسبب المعطيات الفيسيولوجية والتشريحية تنقل لزوجها وهذه عادية ومتوقعة وخفيفة كالفطريات.

وسألت الدكتور خليل العوضى عن تحمل البغى كيف يكون؟ قال: إن البغى تقوم

بعمل ميكانيكى قهرى استعبادى لاتنطوى على متعة جنسية للمرأة بل إيذاء جسدى وجنسى ونفسى هى تريد أن تعيش ومن ورائها مافيات تتعامل معها كمكنسة كهربائية بلا مشاعر إنسانية، قلت للدكتور هذا هو الجنس المتوحش وتسليع جسد المرأة واعتباره مادة خام فى نظام وسوق النخاسة الدولية القهرية التى تريد الجاهلات جعلهن مثالا للنساء... إن الكاتبة شعرت أو لم تشعر، صرحت أو لم تصرح تنتقم من النساء بحجة العدالة والحرية والمساواة التى سنكشف سذاجة تناولها لهذه المصطلحات، قال الدكتور خليل: لذلك فإن أدبيات القائمين على تسويق البغاء (القوادين) يوصون البغى بألا تحب من تمارس معه الزنا ولا تتعلق به عاطفيًا ؛ كى لاتخسر البضاعة الجنسية!! كما أن البغى بسبب العمل الآلى لا تفرز ما تحتاجه العملية الجنسية، لأن الإفرازات الايجابية لاتمام المتعة متعلقة بالعاطفة الحقيقية وليست المصطنعة مما يزيد عذاباتها!!

لا أجد وصفًا أصدق على نموذج المرأة التى تسوقها وتتمناها مولاتنا الفاشلة الا كلمة العلمانى شريف حتاتة " طليق" نوال السعداوى عندما قال: «هكذا تتحول المرأة إلى جسد تجرد من عقلها وعواطفها لتتحول إلى شكل خارجى، إلى سطح بلا عمق ما عدا عمق المهبل !!

الفصل الثانى عشر

آمنة ودود
المرأة التى أمّت الرجال

أثارت أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة فيرجينيا كومنولث الأمريكية الدكتورة آمنة ودود ، حالة غضب عارمة بين المسلمين قبل "٥" أعوام ، عندما أمّت رجالاً ونساء فى صلاة الجمعة ، وألقت فيهم الخطبة بإحدى الكنائس الأنجيليكانية بعدما رفضت مساجد أمريكية عدة استضافتها ، واجتمع أهل العلم على أن ما أتت به ودود "فتنة وبدعة" ، وأنها خالفت شرع الله وبدّلته.

لكن آمنة- التى تنقلت بين البوذية والمسيحية قبل أن تتحول إلى الإسلام - قالت فى مؤتمر صحفى قبل تلك الصلاة: لا أريد أن أغيّر من طبيعة المساجد ، أريد أن أشجّع قلوب المسلمين على الإيمان بأنهم متساوون .. كما أتمنى المساعدة فى إزالة القيود المصطنعة والمزعجة التى تستهدف المرأة المسلمة.

غير أن مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا استنكر إمامة المرأة لصلاة الجمعة وأصدر بيانًا وصف فيه ما فعلته ودود بـ " البدعة الضالة المضلّة" وردّ منظمو الحدث: إن ما أقدمت عليه أستاذ الدراسات الإسلامية يأتى ضمن حملة أوسع لتشكيل مجتمع جديد يعتمد على مبادئ وتعاليم الإسلام وخاصة العدل والمساواة" ..ومنذ ذلك اليوم عُرفت آمنة ودود بأنها من الذين يصرون على الإبحار ضد التيار ومناطحة الثوابت الدينية.

مؤيدون

خطوة ودود لقيت تأييدًا عند البعض، وقال رئيس المركز الثقافى الإسلامى بأكسفورد تاج هارجى يومئذ: إن ما جرى من شأنه أن يكون خطوة فى الاتجاه الصحيح»، وأوضح أن تأييده هذا يجيء من إيمانه بأن الإسلام هو دين المساواة بين الجنسين.

وحول الأدلة الشرعية التى ساقها البعض بشأن عدم جواز ذلك فى الإسلام، قال هارجى: «إن هناك حالة سمح فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للمرأة بأن تقود صلاة مختلطة تجمع بين الجنسين، ولكن هذه السابقة تم تجاهلها»، على حد قوله.

بدعة منكرة

فى المقابل أصدر وقتئذ رئيس الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى فتوى استنكر فيها هذه الخطوة ، واعتبرها -بدعة منكرة-، كما انتقد نائب رئيس رابطة مسلمى بريطانيا مختار بدرى ما فعلته -ودود- قائلا:" إن القول بعدم جواز إمامة المرأة للصلاة وإلقائها خطبة الجمعة لا يعنى الانتقاص من حقوقها-، وأضاف: ذلك الأمر ليس له أى علاقة بوضع المرأة فى المجتمع.

واستطرد: «هذا شيء مُقدّس لا علاقة له بالحقوق، وعلينا أن نؤدى الصلاة بالطريقة التى أمر بها الله تعالى»، وأشار إلى أن أقصى ما تسمح به الشريعة فى هذا الأمر هو قيام المرأة بإمامة صلاة غيرها من النساء، وشدد على أن الشريعة محددة للغاية فى هذه النقطة.

وكان مجلس الحقوقيين المسلمين فى أمريكا أصدر بيانًا بعد أن أمّت ودود صلاة الجمعة فى نيويورك فى مارس ٢٠٠٥، قال فيه: «هناك توافق فى الآراء بالإجماع لكامل الأمة أن المرأة لا يمكن أن تؤدى صلاة الجمعة أو إلقاء الخطبة، وكل من يشارك فى مثل هذه الصلاة تعتبر صلاته لاغية».

و قال المجمع : إنه لم يجد أى نص فقهى يبيح للمرأة ذلك، ووصف ذلك بـ «الابتداع والهرطقة».

ونشرت صحيفة «جارديان» البريطانية المحافظة مقالا بقلم «كيا عبدالله» عرضت فيه بعض وجهات النظر الفقهية حول هذا الأمر، إلا أن الكاتبة افتتحت

مقالها بالقول: إن هذه الخطوة من جانب آمنة ودود تعتبر «انتصارا للمرأة».

وأرجعت ذلك الموقف بالنسبة لها لكونها نشأت فيما وصفته بـ «مجتمع أبوى»، وقالت: «إن مبدأ القوامة فى الإسلام قد تم تفسيره بناء على وجهة نظر ذكورية بحتة».

وقالت: إن الكثير من الأحكام الواردة فى القرآن الكريم تم تفسيرها فى هذا الإطار، ضمن «رؤية ذكورية»، موضحة أنه لذلك تعتبر خطوة ودود هذه بمثابة «تحدى الوضع القائم».

وقالت: إنها سوف تدفع إلى مراجعة الكثير من الثوابت الراهنة فيما يعتقده المسلمون، على حد قولها.

صلاة باطلة

وعلّق فقهاء ثقات على هذا الأمر بقولهم: لاشك أن صلاتها - آمنة ودود - وصلاة من خلفها باطلة، لا جمعة ولا ظهرًا، مع الإثم المبين، لأن من شروط صحة الإمامة الكبرى والصغرى - لاسيما الجمعة الذكورية. وهذا من الأمور المجمع عليها، وقد تلقته الأمة بالقبول كابرا عن كابر.

وقالوا : لو جاز لامرأة أن تؤمّ الرجال لجاز لعائشة - رضى الله عنها - فقد كانت عالمة بالتفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، والأدب، والأنساب، والطب، وكان كبار أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يسألونها ويستفتونها، ومع ذلك ما كانت تحدث نفسها بإمامة لا صغرى ولا كبرى، وكان يؤمها غلامها فى صلاة التراويح.

وأكدوا أن ما ابتدعته آمنة ودود يدل على " كِبْرها، وغطرستها، وجهلها، وعدم عقلها، ويُدخلها فى سلك المبدّلين والمبدلات لشرع الله، الرادّين لحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعليها وزرها ووزر من همّت بذلك من النساء إلى يوم القيامة، لا يُنقص ذلك من أوزارهن شيئًا."

فتنة مضلة

اعتبر مجمع الفقه الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى - الذى يعد أعلى مرجعية إسلامية تمثل المسلمين فى العالم- أن ما قامت به الدكتورة ودود " بدعة مضلة وفتنة قائمة" وأصدر بيانًا جاء فيه:

"إن الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامى بجدة المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى تعبر باسم علماء الأمة الإسلامية وفقهائها عن استنكارها وأسفها على ظهور بدعة مضلة وفتنة قائمة تمثلت فى تقدم امرأة - لأول مرة - لإمامة جماعة من المصلين فى صلاة جمعة بكاتدرائية مسيحية فى مدينة مانهاتن الأمريكية ، وفى هذا مخالفة لأحكام الشريعة من وجوه تولى المرأة خطبة الجمعة وإمامتها للرجال فى صلاتها ووقوف الرجال والنساء متجاورين مختلطين فى كاتدرائية مسيحية ، وهى أمور تخالف ما اتفق عليه جمهور علماء الإسلام وفقهائه المعتمدين وقد يكون المقيمون لهذه الصلاة على هذا الوجه معتمدين على أقوال ضعيفة أو غير معتمدة وردت فى بعض الكتب الفقهية."

البيان شدد على أن الحقوق والواجبات والتكاليف المتنوعة المرتبطة بالنساء والرجال قد قضى الله بها وليس لأحد من الناس التصرف فيها أو التأويل لها ولقد خص - سبحانه - كل جنس من الجنسين الرجال والنساء بما هو محتاج إليه ومفتقر له فقال جل وعلا «ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض».

وفى هذا دليل على أن المنهج الإسلامى يتبع الفطرة وقد أودع - سبحانه - كل واحد من الجنسين خصائص يتميز بها عن الآخر فتناط على وفقها الأحكام والوظائف المناسبة للشخص ، رجلا كان أو امرأة وبهذا تبطل أسباب الخصام والتنازع على أعراض الدنيا.

اللاهوت الأنثوى

ورأى الدكتور بدر الدين بن عبد الحسن أن ما فعلته ودود _ يذكرنا بحديث النبى «صلى الله عليه وسلم» الذى حذرنا فيه من تتبع كل ما يرد إلينا من أهل الكتاب .

فالتقليد الأعمى الذى درج عليه كثير من أبناء المسلمين حذّر منه الحديث الشريف، وهو حالة من الاتباع النفسى والفكرى الذى يأسر صاحبه ويجعله لا يرى الحق إلا كما يراه هؤلاء اليهود والنصارى. وخاصة فى وضعنا الحاضر الذى يشهد الغلبة الحضارية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية من قبل الغرب النصرانى - اليهودى وسيطرته على مجريات أمور العالم بما فيه العالم الإسلامى.

و عبر عن هذه الحالة ابن خلدون -رحمه الله - مستشفًا ذلك من حديث النبى

-صلى الله عليه وسلم - ومن تجربته فى دراسة تقلبات الأمم والشعوب بقوله : «المغلوب مولع بتقليد الغالب»، وهى كما قلنا حالة مرضية نفسية وفكرية تؤثر على تصورات الناس وإدراكهم لحقائق الأشياء.

ولعل من أهم ما أثر على صاحبة المشهد المذكور سابقًا وأدخلها جُحر الضب النصرانى فى نيويورك هو هذه الحالة من الامتهان والذل النفسى والانبهار بمفردات الحياة الغربية ذات المرتكز النصرانى ، فكانت أن لجأت إلى التقليد الأعمى الذى جرها إليه «حركة الفيمينزم» أو الحركة النسوية الغربية ذات الامتداد فى التاريخ الحضارى الغربى الذى طالما اضطهد المرأة وحرمها من كثير مما منحه الله لها، سواء فى ذلك الحرمان الكنسى أو الحرمان الاجتماعى بفعل هيمنة المفاهيم الكنسية أو العلمانية التى تحتقر المرأة تارة وتنظر إليها بعين المتعة تارة أخرى.

وأضاف : فمنذ نشوء حركة "الفيمينزم" فى أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت مفاهيم حقوق المرأة ووجوب مساواتها بالرجل فى كل شىء؛ فى حق الملكية، والنشاط الاجتماعى، والممارسة السياسية، والتمثيل النيابى والانتخاب وغيرها، ووصل الأمر إلى ما يُعرف باللاهوت الأنثوى الذى حاول تأنيث كل العبارات المذكرة فى الإنجيل.

و«حركة الفيمينزم» فى جوهرها تعتبر الدين من وضع الرجال، وترى فيه محاولة رجالية لضمان سيطرة الرجال على مقاليد الأمور، ولذلك يستوى عند حركة الفيمينزم الاعتراض على أفكار البشر والاعتراض على شرائع الكتاب الحكيم، وأظن أن الكثير من المسلمات ممن دخل - جُحر الفيمينزم - نسى قوله تعالى «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا» - الأحزاب:٣٦. وإلا كيف نفسر تبرمهم مما ثبت من شرائع وشعائر.

فإذا كان من حقهن منازعة الرجال فى حقوقهن والمطالبة بها، فإن من الشعائر التعبدية ما لا صلة له بحقوق الإنسان سواء أكان هذا الإنسان رجلا أو امرأة، وإنما هى حقوق رب الإنسان، الذى شرع من الشعائر ما هو أدرى بحكمتها.

ونختم قولنا بالتأكيد على أن الأمر لا يتعلق بالدفاع عن حق إمامة المرأة من منظور إيمانى، بقدر ما يتعلق بعمل يتفق مع رؤية الفيمينزم التى ترى أحقيّة المرأة فى منازعة الرجل ومغالبته فى كل جبهة، وفى كل موضع وإظهار تماثلها بل

وتفوقها على الرجل فى كل شىء، ويستوى فى ذلك الأمر الدينى بالأمر الدنيوى.

ولو كان الأمر يتعلق بحق المرأة الشرعى فى الإمامة لكانت المشاركات فى تلك الصلاة الكنسية التزمن بالزى الشرعى وبآداب الصلاة، ولما كان كل واحد يجلس بقرب صويحبته ويلوك العلكة، وهو يستمع إلى تلك المؤذنة التى أسدلت شعرها، وبدأت تصيح بكلمات الأذان، وكأنها فى ناد للرقص الشعبى أو فى حفلة تدريب على الأداء الصوتى على مرأى من الناس، وفى موقع نجس لا تصح فيه الصلاة.

نشأة مضطربة

وتحدثت آمنة ودود فى مقابلة صحافية فى أمور شتى، شملت نشأتها الأولى وتحولها من المسيحية إلى الإسلام ، وما تعتبره اجتهادات وآراء لها فى الإسلام ، وقالت:منذ سنواتى الأولى وأنا مهتمة بالأفكار الدينية العلمية. فكان والدى - قسيسا منهجيًا - نشأت كمسيحية مهتمة جدًا بأفكار حول الله تعالى وحول الأخلاقيات والطبيعة البشرية والروحانية. لذلك كنت قبل التحول إلى الإسلام - بوذية - وأقمتُ فى أشرام ومارست التأمل، الذى ما زلت أمارسه يوميًا، وعندما بلغتُ العشرين دخلت مسجدًا فى منطقة قريبة من مكان إقامتى، أردتُ أن أعرف ما هو الإسلام، أنا مهتمة جدًا بالعلاقة بين ما هو دنيوى مدنّس وما هو مقدّس.

وبالنسبة لى أعطانى الإسلام لغة، والواقع أن العربية كانت جزءًا هامًا منه، فأعطتنى لغة التوحيد، لغة علاقة الله الحميمة مع الخلق، ولكن كذلك السلطة للإتيان بالتناغم مع الأشياء المتنافرة، هذا بالنسبة لى هو قمة الاستسلام، ساعدنى الإسلام على فهم تجربتى مع المسيحية والبوذية، إنها رؤية لها منطقها، قد لا يكون هذا لكل إنسان، فلدى البعض تفهُّم أكثر بساطة للإسلام، ولكن هذا هو الأسلوب الذى عشتُ الإسلام من خلاله وأضافت:

عندما أعطيتُ فرصة لدراسة القليل عن الإسلام، تأثرتُ كثيراً، خاصة بالقرآن الكريم، بالنسبة لى فتح لى القرآن علاقة بين منطقى وتفسيرى وفهمى للعالم وحبى للطبيعة ورغبتى بها، وبالعالم وما بعد العالم، وبما لا يمكن رؤيته، وبهذا طورتُ عملى بالذات فى مجال القرآن الكريم والنوع الاجتماعى، وهذه هى المساحة التى أعتقد أنها نوع من الهبة لى لأنها شىء أحب أن أفعله.

الفصل الثالث عشر

زكى نجيب محمود
للوجودية وجوه أخرى

المفكر الوجودى الدكتور زكى نجيب محمود(١٩٠٥-١٩٩٣).. هو أحد أعلام النهضة الأدبية فى مصر والوطن العربى، لأنه نجح فى تقديم أعسر الأفكار على الهضم العقلى للقارئ العربى فى عبارات أدبية مشرقة، وفك أصعب مسائل الفلسفة وجعلها فى متناول قارئ الصحيفة اليومية ، واستطاع بكتاباته أن يُخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة المعاهد والجامعات لتؤدى دورها فى الحياة ، ونال العديد من التكريمات محليًا وعربيًا.

يُعتبر زكى نجيب محمود - الذى ينتمى إلى قرية ميت الخولى عبدالله فى دمياط "شمال دلتا مصر" - من الشخصيات المثيرة للجدل، ومن الذين أبحروا ضد التيار فى أحايين ليست قليلة ، ففى إحدى مراحله الفكرية .. دعا إلى إلغاء التراث العربى ورفضه رفضا تامًا ، وإلى سيادة العقل على النقل، كما دعا إلى تغيير سُلم القيم العربية ليكون على غرار النمط الأوروبى ، قبل أن ينقلب - بعد ذلك - على جميع تلك الأفكار ليدعو فى مرحلة لاحقة إلى "فلسفة جديدة برؤية عربية" تبدأ من الجذور ولا تكتفى بها بل نادى بتجديد الفكر العربى وتوصل إلى أن "الإسلام هو أكثر الديانات السماوية دعوة إلى العلم والعقل والتعقل".

نقلات فكرية

مرت حياة زكى نجيب محمود الفكرية بثلاثة أطوار، حيث انشغل أثناء سفره إلى أوروبا بنقد الحياة الاجتماعية فى مصر وتقديم نماذج من الفلسفة القديمة والحديثة والآداب التى تعبر عن الجانب التنويرى.

وبدأت المرحلة الثانية بعد عودته من أوروبا، وامتدت حتى الستينيات من القرن العشرين، وفى هذه الفترة دعا إلى تغيير سُلم القيم إلى النمط الأوروبى، والأخذ بحضارة الغرب وتمثلها بكل ما فيها باعتبارها حضارة العصر، لاشتمالها على جوانب إيجابية فى مجال العلوم التجريبية والرياضية، ولها تقاليد فى تقدير العلم وفى الجدية فى العمل واحترام إنسانية الإنسان، وهى قيم مفتقدة فى العالم العربى.

وفى هذه الفترة دعا إلى الفلسفة الوضعية المنطقية ونذر نفسه لشرحها وتبسيطها، وهى فلسفة تدعو إلى سيادة منطق العقل، وإلى رفض التراث العربى وعدم الاعتداد به. وعبرت كتبه - التى ألفها فى هذه الفترة - عن هذا الاتجاه مثل الفلسفة الوضعية وخرافة الميتافيزيقا.

أما المرحلة الثالثة.. فقد شهدت عودته إلى التراث العربى قارئا ومُنقّيا عن الأفكار الجديدة فيه، وباحثا عن سمات الهوية العربية التى تجمع بين الشرق والغرب وبين الحدس والعقل وبين الروح والمادة وبين القيم والعلم.

العودة إلى الجذور

فى هذه المرحلة- كما يقول أحمد تمام- دعا محمود إلى فلسفة جديدة برؤية عربية تبدأ من الجذور ولا تكتفى بها، ونادى بتجديد الفكر العربى، والاستفادة من تراثه، وقال: إن ترك التراث كله هو انتحار حضارى؛ لأن التراث به لغتنا وآدابنا وقيمنا وجهود علمائنا وأدبائنا وفلاسفتنا، وكان يتمنى ألا نعيش عالة على غيرنا، وإنما نشارك فى هذا العالم بالأخذ والهضم والتمثيل ثم إعادة إفراز ما أخذناه، مثلما فعل المسلمون حينما أخذوا العلم والفلسفة الإغريقية وهضموها ثم أفرزوها وزادوا عليها زيادات مهمة.

وكان يرى أن السر وراء تخلف العالم الإسلامى المعاصر، أنهم يكتفون بحفظ القرآن الكريم وترديده دون العمل بما يشير إليه من وجوب العلم بالكون وظواهره، فإذا تنبّه المسلم إلى أن البحث العلمى فى ظاهر الكون من ظاهرة

الضوء إلى الصوت إلى الكهرباء والمغناطيسية والذرة، كل ذلك يشجع عليه ديننا، وإذا أيقن أن البحث فرض دينى، لكان المسلم الآن صاحب العلم وجبروته، ولكان الآن من راكبى الصاروخ وغزاة الفضاء، وصاحب المصانع التى تأخذ من البلاد المتخلفة موادها الخام بأقل ثمن، ثم تردها إليها مصنوعات بأغلى سعر، فيكون الثراء من نصيبه والفقر من نصيب الآخرين، لكن المسلم لم يعقل ذلك كله وظنّ أن العبادة وحدها هى الأمر الإلهى !!

هل كان علمانيًا؟

صنّف بعض المعاصرين زكى نجيب - ضمن زمرة العلمانيين - وأنه بناء على هذا التصنيف فرّق بين الدنيا والدين، وبين الأرض والسماء، وبين الدولة والدين، وأن اهتمامه تركز فقط على العالم، وأخرج الدين من دائرة الاهتمام أو التأثير فى شؤون الحياة وتنظيمها.

وعند زكى نجيب محمود كانت هذه الدعوة مقبولة فى المرحلة الأولى من فكره، ومتسقة مع تصوره بمعنى الحضارة والتقدم؛ إذ كان ينادى فى هذه المرحلة بأن الشرق لن يتقدم إلا إذا تخلص من كل القديم، وأن يتخلى عن تراثه تماما، بل نادى بأن علينا أن نلقى به فى النار، وأن نستمد كل أنظمتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من أوروبا؛ لأنه لا يوجد لدى العرب فى تاريخهم - السابق أو الحالى - ما يصنع هذا التقدم المنشود، وكانت دعوة العلمانية - بالمعنى الأوروبى - هى التصور الملائم لرؤية زكى نجيب محمود.

ثم حدث التحول فى فكر الدكتور زكى، ومنذ ظهور كتابه «تجديد الفكر العربى» وكتابه «المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى» تغيرت هذه النغمة، وبعد أن كان الغرب - وحده - هو مصدر العقل والعلم والتحضر، أخذ الدكتور زكى فى البحث عن ملامح هذا العقل فى تراثنا، وانتهى إلى أن" الإسلام هو أكثر الديانات السماوية دعوة إلى العلم والعقل والتعقل".

وكان فى مرحلته السابقة يرى أن النموذج الكامل للحضارة هو النموذج الأوروبى، ثم تراجع عن هذا فى مرحلته الثانية، ورأى أن هذا النموذج للحضارة الغربية هو نموذج يسير على قدم واحدة، فهى - حضارة عرجاء - غير كاملة؛ لأنها تهتم بالعلم والعالم، وتنسى الإنسان بما يملك من وجدان وثقافة ودين، ونادى بالجمع بين الدين والعلم معا كطرفين متلازمين لصنع الحضارة.

فإذا استطاع الإنسان العربى المسلم المعاصر أن يجمع بين العلم والدين، وبين

العقل والقلب، وبين الجسد والوجدان، وبين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة؛ فقد حقق الحضارة الكاملة، وصار إنسانًا تامًا.

الإعجاز العلمى

من القضايا الإسلامية التى شغلت اهتمام زكى نجيب وحرص على الرد عليها: قضية "استخراج النظريات العلمية من القرآن"، أو تقديم تفسير علمى للقرآن، والادعاء بأن أصول العلوم الطبيعية - بل نظرياته - موجودة بكاملها فى القرآن.

بدأ هذا الاتجاه عند بعض العلماء والمفسرين أثناء بيان موقف القرآن من العلم، وهو اتجاه يأخذ بتحكيم المصطلح العلمى فى التفسير، وحمل العبارة القرآنية على وجه يطابق ما وصلت إليه علوم العصر.

ويصرح أحد المنتمين إلى هذا الاتجاه بأن «الإعجاز العلمى للقرآن لا يجرؤ أى مكابر أو ملحد على أن يجد موضوعا للتشكيك فيه؛ ولهذا فإن علينا نحن - المشتغلين - بالعلم أن نبرز الإعجاز العلمى للقرآن تيسيرا للدعوة إلى الإسلام فى هذا العصر.

وذهب عبد الرزاق نوفل فى كتابه «القرآن والعلم الحديث» إلى أن القرآن قد جاء بوصف شامل دقيق لأصل العالم بما يتفق مع آخر ما وصل إلينا من العلم الحديث، وأن ما جاء به القرآن من معلومات عن علم الفلك يتفق مع ما وصل إليه العلم، بالإضافة إلى حقائق أخرى عن «المادة» و"الزمان» و«المكان» و«المجموعة الشمسية» و«الظواهر الكونية» وغيرها.

لكن الدكتور زكى نجيب محمود يرى فى هذه الدعوة انحرافًا شديدًا عن النظرة العلمية، وهذه الدعوة إذا سمعها الجمهور وطلاب العلم وكبار العلماء كان لها أكبر الأثر فى فساد العلم، وانحراف الفكر السليم عن المنهج العقلى.

ويتلخص نقده فى نقطتين:

- النقطة الأولى: أن القرآن الكريم هو كتاب مُنزّل لتوضيح عقيدة وشريعة، وقد تكون منه بعض الإشارات إلى حقائق علمية، إلا أن ورودها لم يكن بقصد أن تكون نظرية علمية، وإنما وردت لتخدم القصد المتفق مع سياق ورودها.

- النقطة الثانية: أن العلم بحكم طبيعته يُصحّح نفسه بنفسه، والحقائق فيه متغيرة، والوقائع تتكشف باستمرار، ونظل نلاحقها بتغيير القوانين العلمية، فإذا ارتبط العلم بالعقيدة، فمن ذا الذى يرضى لعقيدته الدينية أن توضع فى هذا المنظور المتغير مع تعاقب العصور؟

فالعلم متغير، وكل عصر جديد يصحح أخطاء العلم فى العصر السابق، إما باكتشاف جديد، أو دقة الأجهزة التى تضبط الاكتشافات، فالعلم متغير والعقيدة الدينية ثابتة، والدين ثابت منذ ظهوره، ومع مرور الوقت يظل أيضًا ثابتًا، والعلم متغير ومتطور عبر الزمان.

ويؤكد زكى أن دعوة استخراج الحقائق العلمية من القرآن ستؤدى إلى أمر من أمرين: إما أن يُثبت العلم الطبيعى - وهذا مُحال - وإما أن يتغير الدين بتطور العلم، - وهذا مُحال أيضًا - ولذا أوجب علينا احترام الحقائق العلمية التى لا سبيل إلى نكرانها، حتى إذا وجدناها كأنها تتعارض مع نصوص العقيدة فى ظاهرها وجب النظر فى تأويل تلك النصوص تأويلا يقبله العقل، وتقبله اللغة العربية فى الوقت نفسه.

ويرى أن للمسلم كتابين: كتاب القرآن الكريم، وكتاب الكون العظيم، فمن القرآن يستمد المسلم المبادئ والقواعد التى يقيم حياته السلوكية على أساسها، ومن الكون يستمد المسلم وغيره قوانين العلم، وكلاهما مقروء للناس بمقادير ودرجات، ولكل كتاب عالم مختص به.

أسلمة العلوم الإنسانية

ثار نزاع بين الدكتور زكى نجيب وبعض العلماء الذاهبين إلى الدعوة لأسلمة العلوم الإنسانية، والعلوم التى يقصدونها هى: «علم النفس، وعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم الشريعة» .

رفض زكى نجيب هذا التقسيم الذى يضم علم الشريعة إلى العلوم الإنسانية، ويرى أن هذه الإضافة لا تصح، وإنما أضافها من أراد أسلمة العلوم الإنسانية؛ لكى يوهم المستمعين بصحة دعوته، على حين أن العلوم الشرعية لا تصح إلا أن تكون إسلامية، سواء كانت من ناحية الموضوع أو المنهج، وسواء كان الباحث مسلما أو غير مسلم.

قصر زكى نجيب العلوم الإنسانية على علوم ثلاثة هى: «علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد»، ويحلل عناصر الدعوة إلى أسلمة العلوم الإنسانية، فيوافقها فى بعض الجزئيات وينقدها فى أكثرها.

وردّ هذا التوجه إلى رغبة بعض الباحثين فى الدعوة إلى أسلمة المعرفة؛ بسبب ما وجدوه من فشل لهذه النظريات الغربية، إلا أنه يرى أن فشل هذه التطبيقات لا يعنى أن مبادئها قد فشلت، وأن الفشل لم يشمل النظريات كلها، بل لحق بعض

عناصرها... قبل الدكتور زكى نجيب من أصحاب الاتجاهات القائلة بأن الأسلمة هى أن يلتزم كل علم بمجموعة من القيم والأخلاقيات فى مقدمتها: تحقيق العدالة الاجتماعية، والمحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه المادية، وهذه القيم هى موروث مستمر مع المسلم منذ نزول القرآن بقيمه وأخلاقياته.

ورفض أن تستمد العلوم الإنسانية نظرياتها من كتب التراث القديمة؛ لأن هذه الكتب قدم فيها أصحابها حلولا عقلية، واجتهادات شخصية تصلح لحل مشكلات واقعهم، فإذا تغير هذا الواقع احتجنا إلى تطوير هذا الاجتهاد فى نطاق الأصول الثابتة والمبادئ العامة للشريعة.

ورأى أن الإسلام قد أحال الإنسان لعقله؛ ليحدث التكييف مع واقعه، فالقرآن جاء بحلول لطائفة من مسائل الحياة، إلا أن هذه الحلول لن تكفى الإنسان عبر العصور، لذلك أمر الإسلام الإنسان أن يركن إلى عقله بعد ذلك كلما جد فى حياته جديد.. ودلل على رفض الاتجاه القائل بالأسلمة بعدة أدلة، منها:

- يرفض ما يسمى بأسلمة المفرقة، مؤكدا أن فى هذه الدعوة مصادرة على المطلوب؛ لأنها تشترط على الباحثين أن يقروا بنتيجة قبل أن يسيروا فى بحوثهم، وهو أن تأتى نتائج أبحاثهم متفقة مع العقيدة الإسلامية.
- أن فى هذه الدعوة ميلا عاطفيا يدفع الإنسان إلى عدم التزام الموضوعية.
- أن فى هذه الدعوة نوعا من التعصب، لا يرينا من الموقف إلا ما نتمناه، وفى العلم يجب أن تذكر الحقيقة كما هى فى الواقع.
- أن فى هذه الدعوة خطورة أن يتحول العلماء إلى تلاميذ يكرسون كل مجهودهم لقراءة كتب الأسلاف، بدلا من الاطلاع على أحدث ما وصل إليه الغرب فى مجال هذه العلوم.
- أن المنهج الواجب استخدامه فى العلوم الإنسانية هو المنهج التجريبى، وهو منهج واحد عند الجميع باختلاف عقائد أصحابه الدينية.
- أن طبيعة هذه العلوم متجددة، لأن مشكلات الحياة تتجدد باستمرار، ولا نستطيع أن نقف عند مشكلات المسلم القديم؛ فالذى قابله ابن خلدون مثلا من مشكلات غير ما يلقاه الباحث العلمى الآن.
- أن النتيجة التى نصل إليها فى هذه العلوم هى نتيجة علمية؛ لأنها التزمت بالمنهج العلمى، بصرف النظر عن موضوعها أو عالمها، وتطبق على الإنسان فى كل مكان بصرف النظر عن عقيدته.

الفصل الرابع عشر

عبدالرحمن بدوى
الوجودى المؤمن

الفيلسوف المصرى الدكتور عبدالرحمن بدوى (١٩١٧-٢٠٠٢)..
هو أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب فى القرن الماضى ، وأغزرهم
إنتاجا ، وأكثرهم إثارة للجدل ، شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتابًا
تنوعت بين تحقيق وترجمة وتأليف ، ويعتبره بعض المهتمين بالفلسفة
من العرب "أول فيلسوف وجودى مصرى" ، لشدة تأثره ببعض
الوجوديين الأوروبيين ، مثل الفيلسوف الألمانى "مارتن هايدجر" .

بدوى -الذى كان تسلسله الـ ١٥ ضمن ٢١ شقيقا وشقيقة-ولد
فى محافظة دمياط "١٩٠ كيلو متراً شمال شرق القاهرة"-ودرس
الفلسفة فى كلية الآداب، جامعة القاهرة "فؤاد الأول" ، ثم عُيّن
معيدا بها، وحصل على درجة الدكتوراه فى العام ١٩٤٤ ، وكان
عنوانها «الزمن الوجودى» ، وعلق عليها الدكتور طه حسين أثناء
مناقشتها بقوله : «أشاهد فيلسوفًا مصريًا للمرة الأولى ، وناقش
فيها بدوى مشكلة أثرت فى الفلسفة الوجودية والزمان الوجودى .

عين بدوى بعد حصوله على الدكتوراه مدرسًا بقسم الفلسفة بكلية الآداب فى جامعة فؤاد فى أبريل ١٩٤٥.. ثم صار أستاذًا مساعدًا فى نفس القسم والكلية فى يوليو سنة ١٩٤٩، ترك جامعة القاهرة فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٠، ليقوم بإنشاء قسم الفلسفة فى كلية الآداب فى جامعة عين شمس «جامعة إبراهيم باشا سابقا»، وفى يناير ١٩٥٩ أصبح أستاذ كرسى. وعمل مستشارًا ثقافيًا ومدير البعثة التعليمية فى بيرن فى سويسرا من مارس ١٩٥٦ - نوفمبر ١٩٥٨، ثم غادر إلى فرنسا العام ١٩٦٢ بعد أن جردت ثورة ٢٣ يوليو عائلته الثرية جدا من أملاكها.

عمل بدوى أستاذا زائرا فى العديد من الجامعات، «١٩٤٧-١٩٤٩» فى الجامعات اللبنانية، «فبراير ١٩٦٧ - مايو ١٩٦٧» فى معهد الدراسات الإسلامية كلية الآداب، السوربون، بجامعة باريس، «١٩٦٧ - ١٩٧٣» بالجامعة الليبية فى بنغازى، ليبيا، «١٩٧٣-١٩٧٤» فى كلية «الإلهيات والعلوم الاسلامية» بجامعة طهران من « ١٩٧٤-١٩٨٢» أستاذا للفلسفة المعاصرة والمنطق والأخلاق والتصوف فى كلية الآداب، جامعة الكويت ثم استقر فى نهاية الأمر فى باريس.

قدم بدوى للمكتبة العربية نحو ٢٠٠ كتاب - حسب الراحل محمود أمين العالم - بينما قال أحد ناشريه: إن كتبه التى نشرها تجاوزت ١٥٠ كتابًا منذ كتابه الأول عن" نيتشه" الذى صدر العام ١٩٣٩، الأمر الذى يؤكده ابن أخيه محسن بدوى، حيث يقول فى موقعه الإلكترونى: بلغت أعمال الدكتور عبد الرحمن بدوى سواء المنشورة أو غير المنشورة نحو ١٥٠ كتابا، منها أعمال منشورة بالفرنسية والإسبانية والألمانية والإنكليزية فضلا عن العربية.

أفكار صادمة

يقول الصحفى المصرى"المختفى" رضا هلال : بالنظر إلى فكر عبد الرحمن بدوى نجد أنه بدأ حياته مؤمنًا بالفكر الوجودى الذى يُمجّد الإنسان ويُعلى من قيمته، ويؤكد أنه صاحب تفكير وحرية وإرادة ولا يحتاج إلى موجّه ويعارض كل ما يحدُّ من حريته من الأفكار والغيبيات، والإيمان المطلق بالوجود الإنسانى واعتباره أقدم شىء فى الوجود، فيميل هذا الفكر إلى الإلحاد أحيانًا، وقد قدم بدوى العديد من المؤلفات والترجمات التى تروج لهذا الفكر الذى وضع جملة «عش كأن لا إنسان عاش قبلك، وكأن لا أحد سيعيش بعدك» نصب عينيه.

وبالنظر إلى هذا التوجه الفكرى لبدوى.. نجد أنه أثار الكثير من الدهشة فى الأوساط الفكرية والفلسفية عندما قدم كتابيه «دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد منتقديه» و«دفاع عن القرآن ضد الطاعنين فيه» والصادر بالفرنسية، حيث كان الكتابان بمثابة انقلاب فى فكره، بما فيهما من دفاع عن الرسول والإسلام.

وقال بدوى فى حديث له مفسراً ذلك «إننى أزحف منذ بداية حياتى الفكرية على جبهتين، جبهة الفلسفة العامة بما فيها الفلسفة الوجودية، وجبهة الفكر الإسلامى، ولا أرانى ظلمت جبهة على حساب الأخرى».

ويقال إن للفكر الوجودى شقين: شقا إلحاديًا وشقًا إيمانيًا، وأن عبد الرحمن بدوى على الرغم من إيمانه بالوجودية، إلا أنه يُحسب على الشق الإيمانى فيه وليس الإلحادى، فقد استغرق فى أوضاع الإسلام والمسلمين فى العالم، واطلع على كتب المستشرقين الذين تناولوا قضايا الإسلام، وانتقد العديد منها والتى افترى مؤلفوها فيها على الإسلام، وقام بالرد عليها بنفس الأسلوب الذى اتبعوه فى استخراج الأحداث التاريخية فكشف ضلالهم.

من المعروف - كما يقول فتحى عامر - أن باريس كانت المحطة الأخيرة لعبدالرحمن بدوى، حيث استقر فيها بشكل متصل على مدار ربع القرن الأخير، فى غرفة بفندق «لوتسيا» يخرج منها كل صباح سيرًا على الأقدام إلى دار الكتب الأهلية، فيجلس فى المقعد المخصص له من السابعة صباحًا حتى السابعة مساء ليقرأ ويكتب وينتج كل عام كتابين تأليفًا أو ترجمة أو تحقيقًا.

فى السنوات العشر الأخيرة من عمره انقطع عبدالرحمن بدوى للدفاع عن الإسلام فى مواجهة الحملات المسعورة فى الغرب ضده، فأنتج ١٥ كتابا منها «دفاع عن القرآن ضد منتقديه» و«دفاع عن النبى محمد ضد المنتقصين لقدره»، ومنها ترجمته للسيرة النبوية إلى الفرنسية، وكان بدوى قد أنتج حتى الآن نحو ٢٠٠ كتاب حسب آخر إحصاء ذكره المفكر محمود أمين العالم، وقبل خمس سنوات قال أحد ناشريه: إن كتبه تجاوزت ١٥٠ كتابا منذ كتابه الأول عن نيتشه الذى صدر عام ١٩٣٩

إسهامات رائدة

قدم بدوى إسهامات رائدة لتجديد روح الثقافة العربية والتراث العربى، وفى

الوقت ذاته قدم للمكتبة العربية أهم التيارات والرموز والمدارس الفكرية والفلسفية الحديثة فى الغرب وامتد إنتاجه الفكرى لأكثر من ٦٠ عامًا ليقترب من الـ ٢٠٠ كتاب.

وإذا كان اسم عبدالرحمن بدوى ارتبط لفترة طويلة فى الثقافة العربية بالفلسفة الوجودية، فإن كثيرين اتخذوا من هذا الارتباط توطئة للهجوم على عبدالرحمن بدوى ورميه بأقذع التهم، خصوصًا أن للفلسفة الوجودية وجها إلحاديًا.. وأغلب الظن أن الذين هاجموا عبدالرحمن بدوى من هذه الوجهة لم يسيئوا إلى عبدالرحمن بدوى فحسب، وإنما أساءوا إلى فهم الوجودية أكبر إساءة وتجاهلوا الوجه المثالى لها.

يقول المفكر الراحل محمود أمين العالم: نشرت مقالا فى مجلة الهلال - المصرية الشهرية - بعنوان: «هذا الفيلسوف المؤسسة»، بينتُ فيه أن عبدالرحمن بدوى ليس مجرد مفكر، بل هو فيلسوف وعرضت لفلسفته فى رسالته «مشكلة الموت فى الفلسفة الوجودية» والزمان الوجودى ولقد لاحظت فى عرض ذلك أن الاستدلال المنطقى الشكلى يكاد يسود فى النتائج التى ينتهى إليها فى أكثر من قضية من قضايا هذين الكتابين.

وأشرت فى نهاية العرض إلى أن الدكتور بدوى ذكر فى تلخيصه لكتابه «الزمان الوجودى» فى معجمه بأنه الخطوط العامة لمذهب جديد فى الوجود.

وقال: سنجعل مهمتنا فى الحياة تفصيل أجزائه، إلا أنه فى الحقيقة لم يتمكن من الوفاء بهذا الوعد، وأنه اتجه بكليته إلى مجال الدراسات والتحقيقات والترجمات فى مجال الفلسفة بشكل عام، والفلسفة العربية الإسلامية بشكل خاص، وإن كنا نستطيع أن نتبين فلسفته الوجودية فى اختياره الخاص لما يترجم، وفى عنايته بالجانب الصوفى والإشراقى والأفلاطونى فى تراثنا الفلسفى القديم، وفى الكثير من تعقيباته وتعليقاته وآرائه حول بعض جوانب هذا التراث.

ثم تساءلت - الكلام لمحمود أمين - هل توقفت طاقته الإبداعية الفلسفية بعد الانتهاء من رسالتيه الجامعيتين؟ أم أن فلسفته الوجودية كانت مجرد ثمرة ثقافية خالصة لقراءته فى الفلسفة الألمانية، وكانت منبتة الصلة بحياته وبواقعه السياسى والاجتماعى كما يقول بعض الناقدين لفلسفته؟

ولقد رأيت أن الدكتور عبدالرحمن بدوى عندما كتب رسالتيه الجامعيتين، كان متأثرا بالفعل تأثرًا ثقافيًا عميقًا بالفلسفة الوجودية الألمانية المثالية، وخاصة

عند هايدجر، ولكن هذا التأثر لم يكن مُنبتّ الصلة بواقع خبرته السياسية فى المجتمع المصرى آنذاك، ورحت أبيّن علاقته بحزب مصر الفتاة بين عامى «١٩٣٧ و ١٩٤٠»، هذا الحزب الذى كان يسير على خطى المفاهيم والقيم الفلسفية والمثالية اللاعقلانية للحزب النازى،فضلا عن تلاقيها بشكل سطحى وإن اختلفت دلالة الالتقاء فى العداء لإنجلترا التى كانت تحتل مصر آنذاك .

أما أستاذ الفلسفة بآداب القاهرة الدكتور عطية القوصى.. فرصد الفترة الأخيرة من الإنتاج الفكرى والفلسفى لعبدالرحمن بدوى، التى خصصها كلها تقريبا للدفاع عن الإسلام ضد الحملات المغرضة والمسعورة فى الغرب، وقد صدر أول كتاب فى هذه المرحلة العام ١٩٨٩ بعنوان «دفاع عن القرآن ضد منتقديه» وفيه قال : القرآن، وكونه الأساس الجوهرى للإسلام كان هدفا رئيسيا لهجوم كل من كتب ضده فى الشرق مثلما فى الغرب وذلك منذ النصف الثانى للقرن الأول الهجرى - السابع الميلادى وحتى الآن.

و أضاف: من أجل ذلك تصدينا فى كتابنا هذا لفضح هذه الجرأة الجهولة عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن وأستطيع أن ألخص سبب التردى الذى وقع فيه هؤلاء المستشرقون بالتالى:

- أولا : جهلهم باللغة العربية.
- ثانيا : ضحالة ونقص معلوماتهم عن المصادر العربية.
- ثالثا : سيطرة الحقد على الإسلام الذى ورثوه ورضعوه منذ طفولتهم على عقولهم وتسببه فى عمى بصيرتهم.
- رابعا : نقل المستشرقين للأكاذيب حول القرآن والإسلام. بعضهم عن بعض وتأكيدهم لها .

ويختتم عبدالرحمن بدوى فى مقدمة كتابه قائلا : «هدفنا كشف القناع عن العلماء الكاذبين الذين قدموا الضلال والتزوير لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب، وبإبراز الحقيقة الواضحة يحرز القرآن النصر على منتقديه» .

يقول الدكتور القوصى: فى مقدمة كتاب «دفاع عن النبى محمد ضد المنتقصين لقدره» : يعبر الدكتور بدوى عن مدى خيبة الأمل التى اكتشفها فى بعض المستشرقين ومدى الصدمة التى صدمها حيال من كان يكن لهم الاحترام الكبير فيما سبق أن كتبوه، فقد اكتشف سذاجة معلوماتهم عن الإسلام وجهلهم المطبق عن نبى الإسلام وعن التاريخ الإسلامى عمومًا، وتعصبهم المقيت وتحاملهم

الشديد، وقال الدكتور بدوى فى مقدمته :إنه بعد أن درس هذا الكم الهائل من الكتابات الزائفة التى كتبها المستشرقون عن الإسلام ونبيه وبعد أن اكتشف هذا الزيف والتضليل المتعمد والمتحامل قام بتأليف هذا الكتاب عن نبى الإسلام.

ثمة تناقض

وكتب الدكتور سعيد اللاوندى بحفاوة كبيرة عن عبدالرحمن بدوى قائلا: ثمة تناقض بيّن يلحظه الدارسون لفكر عبد الرحمن بدوى، وهو أنه بدأ حياته «وجوديا يروّج للفكر الوجودى فى الشرق عبر مؤلفاته وترجماته الكثيرة، ثم انتهى فى أخريات أيامه مدافعًا عن الإسلام ونبيه «صلى الله عليه وسلم» عبر كتابين نالا شهرة ذائعة وتُرجما لعدة لغات الكتاب الأول: دفاع عن محمد «صلى الله عليه وسلم» ضد منتقديه، والثانى: دفاعه عن القرآن ضد الطاعنين فيه.

وأشهد: «أن بدوى نفسه كان سعيدا بتأليفه لهما، فأذكر أنه قادنى من يدى ذات مرة فى باريس لنذهب إلى مكتبة تطلّ على نهر السين لكى أرى بنفسى الكتابين.

× دفاع عن القرآن

إذن..فعبد الرحمن بدوى واصل نضالاته على الجانبين حتى وصل إلى كتاباته الدفاعية عن محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام، وكتاباته الأخرى التى حاكم فيها «١٠» من المستشرقين.. الذين تناولوا قضايا الإسلام وثقافته وحضارته.

وقد ساعد بدوى على القيام بهذه المهمة الصعبة إتقانه التام لعدد من اللغات أهمها اللاتينية «لغة العلم» واليونانية «لغة الفلسفة» إلى جانب الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية.

كان بدوى قد وصل إلى حد الاستغراق بأوضاع الإسلام والمسلمين فى العالم، وأذكر أنه حين طالع مقالة لسلمان رشدى بجريدة لوموند الفرنسية.. انفجر سبًا فى "هذا الفاجر" - هكذا وصفه - الذى جنده الغرب للطعن فى الإسلام حتى يقال: «وشهد شاهد من أهل الإسلام».

واستطرد : « سلمان رشدى ليس مسلما، ولم يكن يومًا مسلمًا، لقد التقط السم المدسوس له من قِبل الغرب».

ويكمل الدكتور اللاوندى: أذكر أننى سألته فى ذلك الوقت:

هل يعنى ذلك صحة المقولة التى تذهب إلى أن الغرب وضع الإسلام مكان الشيوعية التى انهارت، وجعله العدو الأول؟

فأجاب: ليس فى هذا شك.

تغيير بدوى

ولن أنسى ما حييت - يكمل اللاوندى -: إن بدوى فى سنوات عمره الأخيرة تولدت لديه «عقدة» ضد كل من يتحدث عن الإسلام فى الغرب، وعندما سألته: لماذا؟

أجاب: «لأن الغرب فيما يتعلق بالإسلام يكيل - ليس بمكيالين فقط ولكن - بعشرة أو ربما بمائة مكيال، فهو أكثر عنصرية ووحشية مع الإسلام. مما يمكن أن يتصور، وإذا أردت الدليل فاذهب إلى المكتبات التى تحيط بنا، لتجد عشرات الكتب التى تنفث سما ضد الإسلام، وتساءل الدكتور بدوى قائلا: أين نحن من كل هذا؟

ثم أجاب عن تساؤله بلهجة لبنانية ساخرة: نحن لا «هون»، ولا «هون».

وأذكر أن الدكتور بدوى - بعد أن ناقشته طويلا فى قناعته الخاصة بعلاقة الغرب بالإسلام - أخذنى من يدى وصعد بى إلى الطابق العلوى فى إحدى المكتبات بالحىّ اللاتينى فى باريس - وبعد أن بحث قليلا بين رفوف الكتب انتزع كتابا ووضعه أمام عينى، وهو يقول فى غضب: انظر، هذه هى عينات الكتب التى يحرص الغربيون على إبرازها وترجمتها؟

فدققت النظر فى الكتاب فإذا هو عبارة عن مجموعة من المقالات لنفر من الكُتّاب العلمانيين. أمثال فرج فودة وسعيد عشماوى وفؤاد زكريا، جمعها وترجمها من العربية إلى الفرنسية المستشرق الفرنسى المعروف جيل كيبل.

الفصل الخامس عشر

تحليل نفسى

هل الذين يبحرون ضد التيار أسوياء نفسيا ،أم يعانون من مشاكل وأزمات نفسية ،هل يملكون مشروعات فكرية ناضجة،أم يبحثون عن أحلام وأوهام،هل هم باحثون عن الحقيقة،أم أثرياء الضلال؟؟

هذه أسئلة تبحث عن إجابات صادقة ومحايدة وغير متسرعة ،لا نبحث _ كما ذكرنا فى المقدمة - عن إدانة أحد ،فهذا لا نراه من شأننا ،كما أننا لسنا من هواة التفتيش فى الضمائر والصدور ،إنما علمها عند الله ، ولسنا من دعاة الحسبة ،ولكننا نبحث وراء تشخيص حالة لا يمكن أن تعمى عنها الأبصار.

لقد استعرضنا شخصيات أثارت جدلاً عميقًا حولها بسبب أفكارها ورؤاها وما تبنته من مشروعات فكرية لم ترق لقطاعات عديدة من الناس ،اعتبرتها خروجا عن المألوف وتجاوزا للخطوط الحمراء وانقلابا على الثوابت وتمردا على السائد واستجداء للآخر.

ومن المؤكد أن الإجابة التى سنخرج بها لايمكن اعتبارها صوابًا لا يقبل التشكيك أو الطعن فكل كلام يؤخذ عليه ويرد.

شخصيات نرجسية متملقة

بادئ ذى بدء يرى الدكتور قدرى حفنى أستاذ علم النفس أن الخارجين عن الإجماع سواء كان هذا الإجماع أخلاقيًا أو اجتماعيًا أو دينيًا يعانون-غالبًا- من نقص فى شخصياتهم و يحاولون من خلال الخروج عن القواعد العامة والأسس المجتمعية "إشباع هذا النقص والظهور بمظهر المنتصر حتى ولو كان انتصارهم على حساب صورتهم أمام الناس".

مضيفا : فى الغالب يميل الشخص الذى يبحث عن الشهرة والظهور بأى شكل وبأى وسيلة إلى مهاجمة الثوابت الدينية ومحاولة التشكيك فيما هو معلوم من

الدين بالضروره ؛لأن ذلك فى الغالب هو ما يحقق له مايسعى اليه من ظهور ومن شهرة .. ومن ثم فإنه يتخذ موقفاً عدائيًا من كل الذين يهاجمونه أو يتعرضون لما يقول بالشرح والتحليل حتى يستمر دائمًا فى صدارة المشهد، غير عابئ بأى هجوم قد يتعرض له، بل إنه من الممكن أن يشعر بالفشل لو لم يُهاجم ،ولو لم يتم اتهامه فى دينه .

ويوضح أن المكوّن الثقافى فى الشخصيات المثيرة للجدل يلعب دورا مهما وبالغ الخطورة فى المعارك التى يخوضونها، وكلما زادت درجة الثقافة استطاع الشخص أن يحصل على أكبر المكاسب من معاركه التى يخوضها لا لشىء إلا لإرضاء ذاته والشعور بالأفضلية عن الآخرين وإثبات أنه ليس أقل من غيره وأنه قادر على أن يكون مثيرًا للجدل والخلاف طوال الوقت.

ويرى حفنى أن وسائل الإعلام تلعب دورًا مهمًا فى إصرار الشخص المثير للجدل على الاستمرار فى طريقه والمضى قدما نحو تحقيق أهدافه التى يريدها خصوصا كلما زاد اهتمام الإعلام به وركزت عليه الأضواء؛ لأن هذه النوعية من البشر تملك شخصيات نرجسية لا ترى إلا نفسها وترى مايقوله غيرها بعيدًا تماما عن الصواب. ولذلك ترى الواحد منهم طوال الوقت فى صراع نفسى رهيب سواء مع نفسه أو الاشخاص المحيطين به، وربما يصل الأمر ببعضهم الى الشطط والطعن فيما لايمكن أبدا الطعن فيه.

مشيرًا إلى أن هناك العديد من الأسباب التى قد تصل بالشخص الى الشطحات الفكرية دون أن يدرى، ومن هذه الأسباب ماهو متعلق بمرحلة الطفولة وهى المرحلة المبكرة من العمر التى يتشكل فيها وعى الإنسان وتمثل فترة من أحرج الفترات فى عمره، وقد تحدث للطفل بعض المواقف التى يكون لها تأثير لا يمكن محوه من شخصيته ويظل عالقًا فى ذاكرته طول العمر،وينعكس تأثير هذه المواقف على طبيعة تفكيره من حيث : طبيعة علاقاته بأفراد عائلته الصغيرة أو أفراد مجتمعه بشكل عام ،ويطلق على حالة هؤلاء فى علم النفس: (الحب المرضى للذات).. وهى حالة من الحالات التى تترتب على تمركز خزانة العواطف حول الذات ،فبدلاً من ان تنطلق عواطف الإنسان خارجة منه نحو الآخرين كأطفاله وأسرته وأصدقائه ومجتمعه وبلاده ،فإنها ترتد منعكسة إلى داخله ملتفة حول ذاته ،فيصبح قابعاً لا يستطيع تحريك ساكن باهتمامه بالآخرين ،وبالتالى لن يستطيع أن يبنى جسر محبة بينه وبين الآخرين ، وفى

نفس الوقت يوهمهم بأنه مهتم بهم كل الاهتمام ،والنرجسية فى مرحلة الطفولة ليست مرضاً ،ولكنها مرحلة من مراحل النمو يتخلص منها الإنسان تدريجياً فى رحلة عمره.

وقد اهتم علماء النفس والطب النفسى بشكل خاص- كما يقول حفنى- بالنرجسية اهتمامًا كبيرًا ؛ لأنها من الآفات التى إن تملكت من صاحبها أهلكته وقضت عليه؛ كونها مرحلة انتقالية لحب الذات المبالغ فيه .. وتشعر الشخصية النرجسية بالعظمة وبأنها شخصية غير عادية تحب نفسها كثيراً وأنها نادرة الوجود ،تنتظر من الآخرين احتراماً من نوع خاص لشخصها وأفكارها وهى" شخصية ابتزازية متملقة و وصولية تسعى لتحقيق أهدافها ومصالحها على حساب الآخرين، كما أنها شخصية غيورة متمركزة حول ذاتها ، تحب تقلد المناصب لا لخدمة الآخرين بل لأهدافها الشخصية ،وتعشق نفسها بصورة تفوق الوصف ،لا تفكر إلا بذاتها "،وبالطبع هناك فرق مابين الأنانى والنرجسى ،فالأنانى يحب الأشياء لقيمتها على عكس النرجسى ، فإنه يحب الأشياء لقربها من نفسه وبحسب تقديره ، بذلك فإنه لا يحب النقد من قبل الآخرين ،ومن هم الآخرون الذين يريدون نقده حسب رأيه..

ويصف حفنى النرجسية بأنها مؤشر مهم للثقة بالنفس وإعداد للذات واحترامها ولكن بحدود معينة ،وأن مسالة تجاوز الحدود باتجاه الزيادة يؤدى إلى الغرور وبدوره الغرور المستمر يؤدى إلى النرجسية ،هذا حال ارتفاع درجة النرجسية لدى الفرد ،أما فى حال انخفاضها فذلك يعنى عدم ثقة الفرد بقدراته ومهارته واحتقاره لنفسه مقارنة بالآخرين ، وبالطبع أفضل درجات النرجسية هى الوسط كما هو فى حالة درجة حرارة الجسم الطبيعى للإنسان وهى ٣٧ درجة مئوية فارتفاعها يؤدى إلى الخطورة على صحة الإنسان وكذلك انخفاضها.

تتصف الشخصية النرجسية - كما يقول حفنى- بسوء المعاملة مع الآخرين وفرط الحساسية تجاههم ،والنرجسيون يرون أن أفكارهم هى الصحيحة والسليمة ، أما افكار الآخرين فهى مجرد تفاهات يتفوهون بها ، أى بمعنى سياسة نفى الأخر وإرهابه بالهجوم المضاد.

فالشخصية النرجسية غير واثقة من نفسها داخلياً ،وأى نقد من قبل الآخرين يشعرها بالغضب أو بمشاعر من المهانة والإذلال ،ولكن الشخص النرجسى شخصية شريرة لاتعرف الرفق ولا الرحمة، فهو ينتظر الفرصة السانحة له لرد

الصاع صاعين لكل من يقف فى طريقه ليقدم أفكاره وآراءه.

ولهذا يمكن القول: إن الفرق بين الأفراد فى النرجسية هو فرق فى الدرجة لا فى النوع ،ومن صفاتها :الاستغراق فى الشئون الداخلية بدرجة كبيرة ، الهدوء المتكلف أو المصطنع ،الطموح الزائد بأى وسيلة ، الشعور بالعظمة مع مشاعر شديدة بالنقص ، الرغبة الملحة فى البحث عن الشهرة ، عدم مقدرتها على الحب والتعاطف مع الآخرين ، الشعور بالملل والضيق والفراغ ، استغلال الآخرين ، الانشغال بأوهام النجاح غير المحدود،لأنها شخصية مريضة نفسياً ، تعانى من مرض مزمن كباقى الأمراض المزمنة الأخرى يصعب علاجها .

بدائل الاسلام

الكاتب المغربى محمد البرجاوى وصف ما يردده بعض العلمانيين من إساءات للإسلام والقرآن والطعن فيهما ووضع المؤلفات العديدة فى ذلك بـ" البضاعة الغربيَّة المنتحلة".

وقال فى مقال مطول:"هى بالفعل إحدى خيارات الدول الشَّيطانيَّة من يهود ونصارى فى طرحها كبدائل عن الإسلام الصَّحيح فى هذا الإطار"، وتابع"نحن مدعوون بقوَّة إلى فَهم هذه الحمولة المعرفيَّة عقديًا، والاطلاع الواعى على السُّبُل العمليَّة المُتَبنَّاة فى إرسالها من خلال تغليفها بغلاف علمى،عبر مأجورين من العرب"

وأضاف:ليت الذين يزعمون الفهم الدقيق، والتحليل والتفسير العميق، والذكاء السامق، والترسانة المعرفيَّة الضخمة أن يهتموا بدراسة آليَّات عمل مؤسسة راند الأمريكية من خلال تقرير عنوانه: "الإسلام المدنى الديمقراطى: الشركاء والمصادر والإستراتيجيَّات"؛ الذى دعا فيه إلى ربط علاقات وطيدة ومتماسِكة مع القوى الإسلاميَّة المُحبَّة للغرب مثل: الصوفيينَ، والعِلْمانيينَ، والحداثيينَ)، والأسبوع المنظم من طرف الجامعات الأمريكيَّة تحت عنوان: "أسبوع أمريكى للتَّوعية" بما سموه زورًا وبهتانًا (الفاشية الإسلاميَّة!)، والمُؤَسَّسات الصُّهيَونيَّة فى فرض نفسها وتمرير نبوءاتها ومعتقداتها فى داخل مجتمعاتنا ويرى أن ما يردده بعض العلمانيين لا يعدو كونه" مساحيق تجميليَّة يُرَاد من ورائها زعزعة عقيدة المسلم بلَىِّ أعناق النصوص الشَّرعية المحكمة لتَتَماشَى مع أطرُوحاتِهم الوهميَّة، والذى مَبناه على التَّأمُّل الذَّاتىّ، والاستشراف الوهمى، والتَّبَجُّح بمعرفة

أسماء الكُتُب السياسيَّة الظرفية المموهة والموغلة فى المُغَالَطَات مشبها سلوكهم بما ورد فى القرآن الكريم: ﴿وَعْدَ اللَّه لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم: ٦،

وتابع "هناك اتجاه – منَ الدَّاخل والخارج – قوى لترسيخ مبدأ الصِّراع على أساس إسلامى، وأنَّ الحياة قد استَقَرَّ أمرها على تبنِّى الحرية الإنسانية – الليبراليَّة – فى كل شؤون الدُّنيا ولا دور للأديان فيها، وقد انتهى عصر العقائد – الأيديولوجيا – ومن هذه الكتب التى أحدثت أصداء واسعة فى هذا الاتجاه ورَوَّجَ لها الإعلام الغربى والعربى – المرئى والمكتوب – كتاب اليابانى الأصل الأمريكى الجنسية، (فرانسيس فوكوياما) المسمى "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، الذى يعلن فيه سقوط العقائد (ويستثنى الإسلام ببعض بقاياه الدينيَّة والخلقيَّة)، والانتصار النهائى لليبراليَّة – حرية الاختيار فى السياسة والاقتصاد والاجتماع – ومقولة "صدام الحضارات" (لصمويل هنتجتون) وقد صدر العديد منَ الكتب التى تنعى العقائد والتَّمَسُّك بالهُويَّة منها: كتاب "النفس المبتورة هاجس الغرب فى مجتمعاتنا" للمستغرب الإيرانى (داريوش شايغان)، وله فى هذا الاتجاه نفسه كتاب "أوهام الهُويَّة"، وهذان الكتابان يُمَثِّلان صورةً نموذجيَّة لجهود المستغربين فى إسقاط الهُويَّات فى داخل مجتمعاتنا"، ومنَ المؤسف أنَّ المعممينَ فى داخل إسلامنا يمارسون – صوت سيِّده – فى ترديد شعارات ومصطلحات، التى تنزل علينا منَ الغرب تترًا، واحدة تَتَبَنَّاها، وأخرى تسقطها على الثُّلَّة المنبوذة – من طرف الغرب والعلمانيينَ – التى تجدف فى الاتجاه المعاكس لموجتها الظالمة، بصيغة أخرى تضفى عليها أنواعًا من التزيينات الموحية: كالتقدم، والتطور، والبناء، والتنوير، والتجديد، والتحديث، والعلمية، والمنطقية... إلخ، فى حين تقذف المبادئ والثوابت الشَّرعيَّة بأبلغ أنواع السباب والشتائم والأوصاف المقذعة مثل: الرجعية، والغيبية، والميتافيزيقا، والتخلُّف، والجمود، والتحجُّر، والتقوقع، والظلامية، والسلبية، والتعصب، وأخواتها من الأصولية والإسلام السياسى، وأنَّ الحرب بيننا وبين اليهود ليستْ دينيَّة؛ ولكنها حرب على حقوق ذاتية؛ لذلك سعوا إلى فتح شراكات تفوق التطبيع إلى التضبيع! وأن الفتح الإسلامى نموذج من نماذج الاستعمار! وأنَّ الإسلام يجب أن يُسحَبَ البساط من تحت أقدامه بشكل تدريجى فى البلدان الإسلامية ليبقى اسمه كما هو الشأن

فى البوسنة التى حوَّلوها إلى كومة من الأشباح التاريخية والكوابيس الخيالية! ولكن: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥، فهل نَعِى الدرس!

وليطمئن إخواننا "العلمانيِّينَ الجزئيين" على حد تعبير الدكتور عبدالوهاب المسيرى – رحمه الله – "الذين زُيِّنَ لهم سوءُ عملهم فرآَوْه حسنًا، وممن بقىَ فى قلبهم حب الإيمان والإسلام الذين يدعون إلى فصل السياسة فقط عن الدين، وليس العلمانيينَ المتطرفين الاستئصاليين الذين يسعون إلى اقتلاع الإسلام من جذوره!" أنَّ الثقافة الغربيَّة التى يَتَشَدَّقون بها ويتبعونها حذو القُذَّة بالقُذَّة لا تميِّز البتة بين المُوَالِى وبين المُعَادى! فَهُم فى الكفَّة سواء؛ يقول (مراد هوفمان) فى كتابه "رحلة إلى مكة": "إنَّ الغربَ يَتَسامَح مع كل المُعتَقَدات والمِلل، حتى مع عَبَدَةِ الشيطان؛ ولكنَّه لا يُظهر أى تسامح مع المسلمين، فكل شىء مسموح إلاَّ أن تكونَ مسلمًا"؛ حتَّى بالرَّغم مِن ركوع بعض العلمانيينَ من أمثال (أركون) أمام أصنام الفكر الغربى، فالغرب لا يرضى منه إلاَّ السجود، ولأنَّ الحقيقة العلميَّة لها وقع وتأثير فى العقول الواعية التى لم تتلطخ بالتَّبعيَّة، وتقليد الغير فى خطواتها ومسيرة حياتها.

والحق يُقال أيضًا: إنَّ العلمانيِّين العرب والمسلمين لم يأخُذُوا منَ الغرب فى نشر الأفكار العلمانيَّة فى المُجتَمَعات العربيَّة والإسلاميَّة إلاَّ قشورها، وليس الأصل الذى يقوم على أساس العدل وحفظ الحقوق، فروجوا للإباحية أكثر، وللفسق والفجور بشكلٍ صريح. ونقلوا أعفن ما وصل إليه الغرب فى مجال الأخلاق! فحتى تكون علمانيًا يَتَوَجَّب عليكَ أن تفنِّد صدق رسالة القرآن – كما فعل طه حسين، ونصر حامد أبو زيد – التى يؤمن بها ما يفوقُ المليار مسلم! ولتكون ممَّن يَتَبَنَّى المبادئ العلمانيَّة فيَتَوَجَّب عليكَ تسفيه مُعتَقَدَات النَّاس والهزء بأفكارهم وعاداتهم وما اعتادوه من تقاليد وقيم راسخة! وحتى تكون قياديًّا علمانيًا فيجب عليكَ أن تسفِّه آراء الرَّسول الكريم – صَلَّى الله عليه وَسَلَّم – بدَعْوَى أنَّه يُمَثِّل اتِّجاهًا "قرآنيًا" (وهو فى هذا المضمار ليس من أهل القرآن ولا مِن أهل السنَّة!! كيف يمكن فَهم القرآن وتعاليمه وفرائضه لولا السنَّة المُبينة؛ فَلْيَتَدَبَّروا قول الله تعالى وهو منَ القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩،

كيف يمكن أن تحط من قدره سواء بالكلمة أو برسم كاريكاتورى!

منصة صواريخ

ويؤسفنا - كما قال الدكتور عبدالعزيز كامل - بعد هذا أن نجدَ من بنى جلْدتنا مَن يجعل مِن نفسه منصَّة تنطلق منها صواريخ الدَّمار الفكرى الشامل القادم من أوربا وأمريكا، صوب أراضينا المكشوفة وسماواتنا المفتوحة، مُتَعَلِّلين بحريتهم فى الفكر والفعل.

فعلاً هؤلاءِ العلمانيُّون، أدْخَلُوا سُمُومهم الثَّقافية وَدَسُّوها فى بطون كتبهم، ونَشَرُوها عبر وسائل الإعلام على حين غفلة من أهلها أو كما سَمَّاها مالك بن نبى - رحمه الله - القابليَّة للاستعمار، فيقولون: الإسلام غير السياسة وغير الاجتماع البشرى وغير الاقتصاد وغير الثقافة وغير التاريخ وغير المعاملات، أهو هذه الركعات والصلوات فى المسجد؟ ألهذا - أيها العلمانيون - نَزَّل القرآن نظامًا متكاملاً مُفَصلاً؟ ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النمل: ٧٥، ألم يعلموا أنَّ النَّبىَّ الكريم - صَلَّى الله عليه وَسَلَّم - عَرَّفَنَا حتَّى كيفيَّة قضاء الحاجة!

ولكن، أعتقد أنَّ الأحداث قد علَّمت المسلمينَ أن يخرجوا من دائرة العاطفة الجوفاء إلى دائرة البحث عن خطة، عن طريق، عن منهج يمكن به تفادى الوقوع فى الأخطاء مرة أخرى، بعد أن تكشَّفت لهم حقائق كثيرة عن هؤلاءِ العلمانيين، ربما كانوا يجهلونها، ووضَحَتْ لهم وجوه ربما كانوا يحسنون الظَّن بها، وهى تُخْفى فى أعماقها الرَّغبة فى تدميرهم والقضاء على كيانهم. ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ آل عمران: ١١٩

لهذا فالفكر الإسلامى الذى أخذ خلاصة الوحى الربانى كله، الذى أنزل على الرسل والأنبياء، واستصفاه من مصدريْه: القرآن، والسنة - نورًا على طريق البشريَّة كلها إلى يوم القيامة، فكان لا بُدَّ أن يواجه من الدَّعوات والملل والنِّحَل والمناهج البشريَّة وقبائل منَ الرَّأى، وهى التى عجزت عن العطاء وأسقطتها المُتَغَيرات، وكان آخر ذلك سقوط قلاع الاشتراكيَّة. فأسقطَت هذه المناهج فى مسقط رأسها وفى بلادها التى صاغتها، وأعلنت البشريَّة منذ سنوات طويلة أنَّها فى حاجة إلى منهج جديد ينقذها من براثن هذا النظام؛ فسقوط الماركسيَّة على النحو الذى حَدَث قد كشف عن عجز الأيدلوجيَّات البشريَّة عن العطاء؛ حتى

إنها بعد سبعين عامًا من سيطرتها على مجرى الأحداث، ومن خلال فلسفة عريضة خالفت فيها مناهج الفطرة وعارضت حقائق الدين ومفاهيم العلم، وحاولت أن تشقّ طريقها ضد التيَّار فعجزت وحاصرتها الأحداث، وقصفتها الرياح وأسقطت منهجها وحطّمت شراعها.

من هنا نخلص إلى مقولة نفيسة ورَقْرَاقَة لأبى حيان فى كتابه "الإمتاع والمؤانسة" (١٢٨/١): "إنَّ الشَّريعة متى فصلت من السِّياسة كانت ناقصة، والسِّياسة متى عريت منَ الشَّريعة كانت ناقصة".

المشكلة إذًا عند هؤلاء العلمانيين أنهم يجترّون ويتشربون ما يلفظه الغرب دون أن يميزوا بين ما يناسب ثقافتنا وما يتنافى معها أخذًا بمقولة (أرنولد توينبى): "إنَّ الحضارات تؤخذ كلها أو تترك كلها"، نجد هذا الطرح وهذا التوجيه فى ضرورة أخذ الحضارة كلها منَ الغرب فى فترة مُبَكِّرة من أطروحات المتغربين من أمثال طه حسين، وسلامة موسى، ثم الجيل الثانى مع الدكتور نجيب محمود وغيره، ثم الجيل الحالى الذى يتزعمه نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون، وعبدالله العروى... والقائمة تطول.

الإيمان والصحة النفسية

عالم النفس الشهير الدكتور احمد عكاشة انتقد بشدة أولئك الذين يناصبون الاديان العداء وينقلبون عليها ويهاجمونها ،ويجعلونها أهدافًا لأغراض باتت معلومة،عندما تحدث فى محاضرته التى ألقاها فى المؤتمر العالمى للجمعية العالمية للطب النفسى التى عقدت فى همبورج أغسطس عام ١٩٩٩ وتم فيها انتخابه رئيسا لهذه الجمعية قائلا:أن إغفال الروحانيات والإيمان بالدين والحب والسلام كبّد أوروبا فى أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ما لا يقل عن ٧٠ مليون نسمة، وذلك لصراعات سياسية،مؤكدًا أن " للإيمان والتدين جانبا إيجابيا من ناحية قبول الإنسان لذاته ضعفًا وقوة، وكذلك التوكل على الله لا الاتكال والنكوص عن بذل الجهد الكافى".

وزاد : الإيمان يؤدى دورًا مهمًا فى تغيير كيميائية المخ من مهدئات وأفيونات ،مما يعطى الطمأنينة والسلام والأمل ويخفف من حدة الآلام النفسية والجسدية، وأضاف : نتعجب عندما نعلم أنه توجد عقاقير ربانية لم نكتشف وجودها بالمخ إلا بعد سنوات من اكتشاف مرادفها، فقد تم اكتشاف المورفين

والهيروين والكوديين قبل أن نعرف أن الله قد خلق مستقبلات أفيونية فى المخ تفرز الأفيون الداخلى لتخفيف الألم، فالكلمة الطيبة تزيد من مهدئات المخ، والحب الصادق يزيد من مطمئنات المخ، والعمل الصالح يرفع من نسبة هذه المواد، بل ثبت أخيرًا- كما قال عكاشة- أن الغضب والقلق والاكتئاب يقلل من عمل جهاز المناعة ويجعل الإنسان عرضة لأمراض المناعة من الروماتيزم والسكر وأمراض الشريان التاجى وجلطة القلب وسكتة المخ، كما أن الحالة النفسية لها علاقة واضحة بكل أجهزة الجسم.

عكاشة شدد على أن العودة إلى الإيمان هى" الملاذ الأمثل للصحة النفسية، والصحة النفسية هى إسباغ الجودة على الحياة"، وأكد أن طول الحياة -دون جودتها- هو مغنم أجوف، ولن يتمتع الإنسان المعاصر بالصحة النفسية إلا إذا عاد للإيمان بكل العقائد التى تحض على الفضيلة والتضحية والتمركز حول الآخرين والابتعاد عن التمركز حول الذات.


أوراق
للنشر والتوزيع



فى عصر أصبحت فيه الأديان عرضة للهجوم والازدراء لأهداف سياسية فى أغلب الأحيان، تتعرض العقيدة الإسلامية لهجوم شرس لايستند إلى أساس فكرى، وإنما تحركه الرغبة فى إثارة الفتن والنعرات الدينية والقبلية.. يصبح الدفاع عن الإسلام - وعن كل الأديان والعقائد - واجبا على كل مثقف مستنير.. لأن من يهاجمون عقائد الآخرين هم فى رأينا لا يقلون تطرفا عمن يفرضون آراءهم بالرصاص والقنابل..هذا الكتاب دعوة إلى نبذ التطرف بكل أشكاله وألوانه المتعددة سعيا إلى تحقيق حلم التسامح واحترام عقائد الآخرين.

